

٨ - هو وأرنا منا سكتنا
 جاءت مادّة: "نسك" من القرآن الكريم
 من سبعة مواضع (١) وتتقارب معاني هذه
 المادّة فيها وتتكامل
 وهذه المواضع السبعة على التحوّلات
 جاء من سورة الحجّ الآية رقم
 ٧ قوله تعالى: **وَلَكُمْ كَفَّةٌ جَعَلْنَا مِنْكُمْ كُفَّاهُمْ**
نَاسِكُونَ

و جاء من سورة البقرة الآية رقم
 ١٩٦ قوله تعالى: **وَلَا تُفْسِدُوا مَنَاسِكَكُمْ**
وَأَنفُسَكُمْ

و جاء من سورة الأنعام الآية رقم
 ١٦٢ قوله تعالى: **وَلَا تَقْرَبُوا مَنَاسِكَكُمْ**
وَأَنفُسَكُمْ

و جاء من سورة الحجّ الآية رقم
 قوله تعالى: **وَلَكُمْ كَفَّةٌ جَعَلْنَا مِنْكُمْ كُفَّاهُمْ**
نَاسِكُونَ

و جاء من سورة البقرة الآية رقم
 قوله تعالى: **وَلَا تُفْسِدُوا مَنَاسِكَكُمْ**
وَأَنفُسَكُمْ

(١) المعجم المفهرس ألفاظ القرآن الكريم: النسك

حديد، والله تعالى أعلم، أن أول الآيات التي
 التي تستعمل فيها هي الآية الثامنة من سورة الحج وقص
 برقم ٦٧ قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْشَكًا هُمْ
 نَاسِكُوهُ﴾ فلا ينافي معك من الأمر وادع إلى ربك بأنك لعل
 هذه مستقيم، ويدل على أن مادة "نَسَكٌ" استعملت هنا مرتين اثنتين
 لكل أمة جعلنا منشكاً: لكل جماعة قوم هي خلقت من
 قبلك جعلنا ما نغايا لغونهم ومكاناً يعتادونه لعبادته
 فيه وقصداً فرائضاً وتعملاً يترقبونه. وأصل المنشك
 خذ كلام العرب الموضع المعتاد الذي يعتاده الرجل
 ويألفه خيراً وشرّاً. يقال: أتت لفلان منشكاً يعتاده
 براد مكاناً يغشاه ويألفه خيراً أو شرّاً (١)
 هم ناسكوه: أي فاعلوه (٢) ومأكلون به (٣)
 قال مجاهد: إصراق رداء الزهري (٤)
 فلا ينافي معك من الأمر: فلا ينافي معك هؤلاء المشركون
 بالله بما حثوا من ذبحك ومنشكك بقولهم: إنا نأكلون ما
 فعلتم ولا نأكلون الميتة التي فعلها الله فإنا نأكل بالحق
 منهم لأنك متحقق وهم مبطون (٥)
 إنك لعل من مستقيم: لعل طريق مستقيم (٦)

- (١) تفسير الطبري ١٣٨/١٧
 (٢) تفسير ابن كثير ٢٤٧/٥
 (٣) الجلالين
 (٤) تفسير الطبري ١٣٨/١٧
 (٥) تفسير الطبري ١٣٦/١٧
 (٦) تفسير الطبري ١٣٦/٧

ومعنى الآية الكريمة ، والله تعالى أعلم ، لكل أمة من
 الأنصم السابقة أنت أُرْسِلَ الله تعالى إليها رسولاً
 جعل لا عمر وجل مكاناً شجراً إليه ، ومكاناً تغتاضه
 وشأنه ، من أجل عبادة الله تعالى وإغراؤه عز وجل
 بالعبادة ، وأنت يا محمد فرض الله تعالى عليها الحج إلى
 بيت الله تعالى الحرام . ومن متعلقات هذا الحج ذبح
 النفسكة ، أي الذبيحة لله تعالى . وإن ذبح النفسكة
 من مقومات هذا الحج الذي فرضه الله تعالى على كل
 الأنصم ، ومنها أمة مستحقة لله عليه وسلم .
 فلا ينال منك يا محمد من دين الله تعالى أو ثلث
 المشركون الذين يقولون بشأن تمرهم عليكم أو كل
 المنيئة أتأكلون ما قتلتم أي ذبحتم بأيديكم ولا
 تأكلون المنيئة التي قتلها الله !
 استمرو يا محمد من الدعوة إلى دين الإسلام الذي
 أرسلك به إنك راجحاً وأبداً لا تغلق طريق هداية
 مستقيم .

وتكفون، مستعينين بالله تعالى إلى الآية الكريمة
 الثانية، وهي الآية رقم ٤٣ من سورة الحج الكريمة
 قال تعالى: **تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ** جعلنا **مَنْشُكاً** لِمَن ذَكَرَ اسْمَ
 اللَّهِ عَلَيْهِ مَا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ بَرِيَّةٍ إِلَّا نَغَامٌ فَاذْكُرُوا لِلَّهِ
 وَاجِدَةً فَلَهُ أَسْلِمُوا. **وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ**
 من الواضح أن هذه الآية من سورة الحج الكريمة
 تتحدث في ذات الموضوع الذي تحدثت فيه الآية السابقة
 من سورة الحج الكريمة. والموضوع هو **حِكْمَةُ اللَّهِ** تعالى
 في جعله لكل أمة أرسل إليها **رَسُولاً**، من جعله لها
مَكَاناً يَحْجُجُ إِلَيْهِ، ويُفِرُّدُ اللَّهَ تعالى بالعبادة فيه، وتذبح
 فيه ما يُقَدِّمُه الحَاجُّونَ لله تعالى من ذبائح. **وَالْمَنْشُكُ**
بِفَتْحِ الشَّيْنِ، **وَالْمَنْشُكُ** بكسر الشين: **الْمَوْضِعُ** الذي
تُذْبَحُ فِيهِ النَّسِكُ (١) **وَالنَّسِكُ** والنسبكية: **الذبيحة (٢)**
تَقُولُ: مَنْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا فَعَلَيْهِ نُسُكٌ، أي ذمُّه بقرينه
بِمَكَّةَ، **شَرَّفُوا اللَّهَ تعالى**. واسم تلك الذبيحة **النسبكية**
وَالْجَمْعُ نُسُكٌ وَنَسَائِكٌ (٣) وقد **نَسَكَ يَنْسِكُ نَسْكَاً** إذا
ذَبَحَ (٤) **وَالنَّسِكُ** **وَالنَّسِكُ**: العبادة والطاعة وكل ما
تُقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تعالى (٥) **وَرَجُلٌ نَاسِكٌ**: عابد. وقد

(١) لسان العرب: «نُسُكٌ»

(٢) لسان العرب: «نُسُكٌ»

(٣) لسان العرب: «نُسُكٌ»

(٤) لسان العرب: «نُسُكٌ»

(٥) لسان العرب: «نُسُكٌ»

نَسَبَكَ وَتَنَسَّبَ إِلَيْهِ تَعَبَدَ (١)

إِنَّ هَذَا الْمَكَانَ هُوَ الَّذِي تَتَخَجَّجُ إِلَيْهِ كُلُّ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ ،
مِنْ أَذَى جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَكَانًا تَكُنُّ تَتَجَبَّعُ فِيهِ النَّسَائِكُ
إِلَى اللَّهِ بِأَنْحَاءِ عَلَى اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ،
فَيَذْكُرُ فِيهِ الْحَاجُّونَ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ ذَبْحِ النَّسَائِكِ ،
وَيُشْكِرُونَ لَهُ عَمْرًا وَجَلَّ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَرَكَةِ الْأَنْعَامِ .
مِنْ الْأَرْبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْفَتَمِ .

وَلَمَّا كَانَتْ أَمَا كُنْ تَجْمَعُ الْبَشَرُ مَفْتَنَةً اخْتَرَفَ بَعْضُهَا
وَتَوَلَّى صُلُوحًا مِنَ الشُّرْكِ وَفَعَلُوا غَيْرَ مَا جَاءَتْ مِنْ أَجْلِ فَلَمَّا
كَانَ التَّنْبِيهِ تَبَشَّرَ إِلَى أَنَّ إِلَهُهُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ
لَهُ ، فَلَمْ يَنْبَغِ أَنْ يُسَلِّمَ الْبَشَرُ ، وَيُؤْخَذَ بِهِ وَيُخْفَعُوا
لَهُ . وَتَبَشَّرُوا أَيُّهَا الرُّسُولُ الْكَرِيمُ وَالنَّبِيُّ الْعَظِيمُ
الْمُسْلِمِينَ ، الْمُؤْمِنِينَ ، الْخَاشِعِينَ الْمُتَوَاضِعِينَ ،
الْمُطِيعِينَ (٢) يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : وَبَشِّرْ يَا مُحَمَّدُ
الْخَاشِعِينَ لَهُ بِالطَّاعَةِ الْمُنِيعِينَ لَهُ بِالْعِبَادَةِ
الْمُنِيبِينَ إِلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ (٣) بَشِّرْهُمْ بِالنَّعِيمِ
الْمُقِيمِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ .

(١) لسان العرب : « نَسَبَكَ »

(٢) لسان العرب : « خَبِتَ »

(٣) تفسير الطبري (١٧) / ١١٦

وتقول، مستعينين بالله تعالى إلى الموضع الثالث الذي
 تجس فيه مادة «النفس» وإلى الآية رقم ١٦٢ من
 سورة الأنعام الكريمة. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ هَلَاكُ
 وَنُفْسُكُمْ وَحَيَاتِي وَمِمَّا تُعَلِّمُونَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾
 قل يا محمد لمشركي القرب، إني هلاكتي لله تعالى
 وحده لا شريك له، وكذلك ذنبي ونفسي وحجتي
 وقيامي بسائر العبادات، بل كل حياتي ومماتي
 لله تعالى وحده لا شريك له، رب العالمين،
 ورب كل شيء. إني لله تعالى هو مربي كل عباده
 ينعمهم العظمة والدة الجسمية.
 ولا تخطأ أن الآية الكريمة تدل بالصدقة،
 وهي عمود الدين، وهي أهم ما يختار المسلم

عن غير المسلم.
 وإذا كان النفس معناه ذبح النفسية أي
 الذبيحة من المقام الأول وفي موسم الحج (أي فأن
 النفس أقار، كما قرأنا، أدام مناسك الحج
 وفي مقعد مترا إلى بح أو الشجر، ثم إني النفس في الحلق
 بعد ذلك على كل مظاهر العبادة، فالنفس
 هو العابد.

(١) تفسير الطبري ١/ ١٢

وَتَحْتَوِي، مُسْتَعِينِينَ بِاللهِ تَعَالَى، إِلَى الْمَوْضِعِ الرَّابِعِ
 الَّذِي تَجْرُءُ فِيهِ مَادَّةُ «نُسُك» وَبِالْآيَةِ رَقْم ١٩٦
 مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ الْكَرِيمَةِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَتَّكُوا الْحَجَّ
 وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ. فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ
 وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ
 مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ
 أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ. فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى
 الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ. فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِضْلًا
 ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَذَا الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ. تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ.
 ذَلِكَ يَمَنًّا لَمْ يَكُنْ أَجَلُهُ حَاضِرًا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ. وَاتَّقُوا
 اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ
 وَهَذَا تَفْسِيرٌ مُوجِزٌ لِلآيَةِ الْكَرِيمَةِ. وَأَتَّكُوا أَيُّهَا
 الْمُسْلِمُونَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ إِذَا بَدَأْتُمُوهَا، وَأَتَّكُوهَا لِلَّهِ
 تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَيْسَ لَهَا كَانُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ
 يَفْعَلُونَ مِنْ اتِّخَاذِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ مَقْدَانًا لِلتَّفَاخُرِ، وَسُوقًا
 لِلتَّجَارَةِ، وَمِثْلَانَا لِنَتَنَا فَسِ الْإِخْتِصَادِ وَالْأُخُوَّةِ
 وَالْأَدْبِ. وَقَدْ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى.
 وَالْآيَةُ الْكَرِيمَةُ سَقَطَتْ عَنْ التَّوَالِفِ مِنْ مَوْضُوعَيْنِ أَشْنَيْنِ
 هُنَّ الْأَصْرُ الْمَنْعُوعُ مِنَ الْإِتِمَامِ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ، وَمَنْ شَتُونَ
 الْمَتَمَتِّعِ انْطِلَاقًا مِمَّا جَرَى لِلْعَبْدِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ.
 إِنْ تَمَّ أَتَّكُوا الْمُسْلِمُونَ إِذَا أَحْصَرْتُمْ وَمُنِيعَتُمْ لِمَا مَنَعَ مَحْمَدَ
 صَلَّي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ مِنْ آدَاءِ الْعُمْرَةِ عَامَ
 الْحُدُوبِيَّةِ، أَوْ مَنِيعَتُمْ مِنْ آدَاءِ الْحَجِّ، فَالْوَاجِبُ عَلَيْكُمْ إِذَا آدَاءُ

ما تبستر من الرهوي (١) وصوم ما يسهل من إلى بيت الله
 من بنة نة (٢) أو غيرها (٣) وجمعه، التي ساعدت
 المتحضر بعد ذلك حيث أخصه ويخر صديقه إن كان
 ثم صديقه ويخلق رأسه (٤) ولا تخلقوا رؤوسكم أي
 لا تخلقوا من الإحرام حتى ينخر الرهوي. والمتحضر
 بفتح الميم وتسري الحاء، الموضع الذي سجد فيه
 ذبحه (٥) وليس من النساء خلق، إنما عليهن التقدير
 وأجمع أهل العلم على القول به (٦)
 وواضح أن هذا الجزء من الآية الكريمة يتخذ

من المتحضر.
 فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية
 من صيام أو صدقة أو نسك: وكان كعب بن عميرة
 يقول: فدية شملت هذه الآية (٧) أذى: ألم (٨)
 من رأسه: تقبل وصداع مخلق من الإحرام (٩)

- (١) الجلابين.
- (٢) بنة نة: ناقة
- (٣) تفسير القرطبي ٧٥٢
- (٤) تفسير القرطبي ٧٤٦
- (٥) تفسير القرطبي ٧٥٢
- (٦) البحر المحيط ٧٤/٢
- (٧) التفسير ٢٦٢/١
- (٨) البحر المحيط ٦٠
- (٩) الجلابين

فدية : أي فغليه فدية ، أو فإلواجب فدية (١)
التقدير : فخلق فدية (٢)

من صيام : ثلاثة أيام ، أو صدقة بثلاثة آصع من
غالب قوت البلد على ستة مساكين . أو نفسك :
أي ذبح شاة . أو : للتخير ، و الحق به من خلق
من غير عذر لأنه أوّل بالتفارة . و لنا من استمتع
بغير الحلق كالطيب و اللبس و الدهن لعذر أو غيره (٣)
و النفس : جمع نسيسة ، وهي الذبيحة ينسكها العبد
لله تعالى (٤)

فإذا أمنتهم : من خوفكم من العدو المحصر ، قاله ابن
عبّاس وقتارة . و صو أشبه بالتلفظ (٥)
فمن تمتع : استمتع بالعمرة : أي بسبب فراغه منها
بمخطورات الإحرام : إلى الحج : أي إلى الإحرام به
بأن يكون أحرم بها أو أشهره ، فما استيسر من الهدى :
فما تبستر من الهدى عليه . و صو شاة يذبحها بعد
الإحرام به (٦) و ثمة شروط ثمانية للتمتع ذكرها القرطبي (٧)

(١) البحر المحيط ٢ / ٧٦

(٢) البحر المحيط ٢ / ٧٦

(٣) الجلايين و تفسير القرطبي ٧٦٠

(٤) تفسير القرطبي ٧٦٠

(٥) تفسير القرطبي ٧٦٠

(٦) الجلايين .

(٧) تفسير القرطبي ٧٦٤

من لم يجد فصيام ثلاثة أيام من الحج وسبعة إذا
 رجعتم : فمن لم يجد الترمي ، لعدم المال أو عدم الحيوان (١)
 فصيام ثلاثة أيام من الحج وسبعة إذا رجعتم . تلك
 عشرة كاملة : صام ثلاثة أيام من الحج وسبعة إذا
 رجع إلى بلد (٢)

تلك عشرة كاملة : قال الزجاج : لما جاز أن يتوهم
 متوهم التخيير بين ثلاثة أيام من الحج أو سبعة
 إذا رجع بدلًا منها ، أنزل ذلك بالجملة من قوله :
 تلك عشرة كاملة (٣)

ذلك لمن لم يكن أهله حاضرين المسجد الحرام ، واتقوا
 الله واعلموا أن الله شديد العقاب : ذلك : إشارة
 إلى التمتع والقرآن لغريب عند أبي حنيفة وأصحابه .
 لا متعة ولا قرآن (٤) لحاضر المسجد الحرام عندهم (٥)
 ونحوهم الآية الترمية بأمر بتقوى الله تعالى فالشتر
 والعلانية وتعلم جميعاً أن الله تعالى شديد العقاب
 وحسن يكون معنى : هو أو نفسك أو ذبح شاة .

(١) تفسير القرطبي ٧٧٢ و ٧٧٣

(٢) تفسير القرطبي ٧٧٣

(٣) تفسير القرطبي ٧٧٥ وانظر البحر المحيط ١٠/٢

(٤) معنى القرآن أن يحرم من عند الميثقات بالحج والعمرة معاً ،
 ويقول عند التلبية : لبيك بحج وعمرة . فقه السنة ٥٥٣

(٥) تفسير القرطبي ٧٧٧

وتتحول، مستعنيين بالله تعالى، إلى الموضع الخامس
الذي رتبناه فيه مادة : «نسك» وإلى الآية رقم ١٢٨
من سورة البقرة الكرّمية . قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا
مُسْلِمِينَ ﴾ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَنَا
مِنَّا سَكَنًا وَتَب عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ
وهذه الآية الكرّمية إحدى ثلاث آيات مترابطات
مخبرها دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ربّهما جلّ
وعلا وهما يرفعان قواعد البيت الحرام وأسسده
بأمر الله تعالى . وبسبب المناسبة الواحدة نذكر الآيات
الترسيمات الثلاث . قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ . رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً
مُسْلِمَةً لَكَ وَأَنَا مِنْ سُلَكُنَا وَتَب عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ . رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ . إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
وهذا تفسير موجز لآيات الترسيمات بين يدي الوقوف
ملئاً عند الآية الكرّمة الثانية .

وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ إِذْ تَرَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَابْنَتُهُ إِسْمَاعِيلُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ، الْقَوَائِدُ وَأَرْسُوسُ مِنَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ بِمَكَّةِ الْمَكْرُمَةِ
بِأَمْرِ رَبِّهِمَا مَرْجُو جَلَّ بِإِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْعُو وَابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ يُؤْمِنُ قَائِلِينَ يَا رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا بِنَاءَ بَيْتِكَ الْعَتِيقِ
مَرَّاجِلَ لَنَا الْمَشُوبَةُ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْكَلِمُ قَوْلُ الْعَلِيمِ بِحَلِّ
نَيْتٍ وَفِعْلٍ يَا رَبَّنَا يَا رَبَّنَا سَعْمَكَ الْعَظِيمَةَ، وَمَنْعَتُنَا يَا رَبَّنَا
الْجَسِيمَةَ، وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ تَكْ، فَاصْنَعِينَ بِرَأْسِكَ، فَذَعْنِينَ

لمشيئتك ، واجعل من ذريتنا مسلمين بك ، وأمة
 خاضعة لإرادتك ، وجماعة مذكاة طغيانك . ويدرك
 أن إبراهيم عليه السلام ، وابن إسماعيل عليهما السلام ،
 لم ينسيا ذريتهما من أهم موافقتهما وهما يدعوان
 الله تعالى . ويا ربنا أرنا منا سلنا بآميننا المطهرة ،
 من أماكن الذبح لك ، وشعائر الحج إلى بيتك العتيق ،
 وشعائر شعائر ديننا ومعالمه . وتب علينا يا ربنا ، وأقبل
 توبتنا ، أنت يا ربنا أنت وحدك التواب الذي يقبل
 توبة القائمين ، وأنت الرحيم الذي يرحم عباده ، وأن
 جعل للمسلمين رحمة خاصة بهم . ولا تحفظ أن
 الذين يطلبون من الله تعالى قبول توبتهما من ذنوبهما
 هما الرسول المعصومان . وهذا ذكر من في التواضع .
 يا ربنا وابعث فيهم وأنزلهم (١) رسولا منهم يتلو عليهم
 آياتك البينات ، ويعلمهم أمته الكتاب العزيز ، والمراد
 القرآن الكريم . ويعلمهم الحكمة ، والمراد السنة النبوية
 المطهرة ، ويزكهم ويعزهم من الشرك والجور .
 أنت يا ربنا أنت وحدك لا شريك لك العزيز غفار ملكه ،
 الحكيم من قوله ، وفعله ، وقضائه ، وقدره ، ومن كل
 شيء ، لا يراد بقضائك ، ولا معقبك حكمك سبحانه .
 وهذه آفاد القول : نوأرنا منا سلنا بآميننا معناه
 العبادة في الحج وفي غير الحج ، أي أرنا مطلق عبادة يا الله
 وحدك لا شريك لك .

فإذا نُعِدُّنا إلى قوله تعالى على لسان الرسولين
 المكرمين : ﴿ وَأُرْنَا مَنْ سَكَنَّا فِيهِ ﴾ فإنا قد سبقنا أن قلنا
 عن هذا الآية عاء فإنا تأملات في سورة البقرة (١) ما يلي :
 « ونخلص من هذه الجولة الواسعة أن المراد بقوله
 تعالى على لسان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام :
 ﴿ وَأُرْنَا مَنْ سَكَنَّا فِيهِ ﴾ أن الله بأبصارنا وأعمالنا
 مناسك حجنا إلى بيئته الحرام ومعالم زيارته بيئته
 العتيق . عن قتادة : قوله : ﴿ وَأُرْنَا مَنْ سَكَنَّا فِيهِ ﴾
 الله مناسكهما الطواف بالبيت والسعي بين الصفا
 والمرورة والإفاحضة من عمرات والإفاحضة من جمع (٢)
 ورمي الجمار حشر أكمل الله الدين أو دينه (٣) »
 ومعلوم أن الحج إلى بيت الله تعالى الحرام يشتمل
 على كل أركان الإسلام من توحيد الله تعالى ، وصلاة ،
 وزكاة (ويعق بالزكاة الصدقات .

ومن معالم الحج إلى بيت الله تعالى الحرام ، ذبح
 النسيكة ، أي ذبح الشهدى من الثمن ، من الإبل ،
 والبقر ، والغنم .

وهذه آيتين أن لفظ المناسك هنا يشتمل كل مناسك
 الحج ، ومنها ذبح النسيكة . وقد علمنا أن المناسك
 أصبحت تفيد معنى العبادات ، وأنت أنا سلك أفاد

(١) تأملات في سورة البقرة ٧٤٥/٢

(٢) جمع : المزدلفة .

(٣) تفسير الطبري ١/ ٤٣٣

معنى العابد، المخلص لله تعالى من عبادته، حتى أصبح
نقيًا كسبيكة الفضة المصفاة، لأنّه خلّص
نفسه وصنّفها لله تعالى (١)
و هكذا أثار القول: «وَأَرَنَا مَنَاسِكَ» وأرنا
كلّ مناسك العبادة من الحجّ وغير الحجّ، أي
أرنا مطلق عبادتك يا الله توحّدك لا شريك لك.

(١) لسان العرب: «نَسِكَ»

من تحوّل ، مستعينين بالله تعالى ، إلى الموضع أو المثال
 الأخير أن ساجد فيه مادة : « نسك » من القرآن الكريم
 وذلك من الآية رقم ٢٠٠ من سورة البقرة التكملة .
 قال تعالى : « يا ذا القضيعة منا سلامكم فاذكروا الله كذا تكريم
 آباءكم أو أشدة ذكرنا فمن الناس من يقول ربنا آتنا من
 الدنيا وما له في الآخرة من خلاق فلهذا الآية التكملة إحدى
 آيات كرمات نوح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا
 اذكروا الله صريحا بالآية الثانية لها تمام الارتباط وهذه
 هي الآية التكملة الثانية . قال تعالى (١) : « يا أيها الذين آمنوا
 ربنا آتنا من الدنيا حسنة ومن الآخرة حسنة وقنا
 عذاب النار »

وهذا تفسير موجز للآيتين التكمليتين . إنَّ المعنى ،
 والله تعالى أعلم ، « يا ذا القضيعة منا سلامكم فاذكروا الله كذا تكريم
 مناسك الحج فاذكروا الله تعالى ذكرا كثيرا ، كذا تكريم
 قد يما أو مجازا بآبائكم من آباءكم ، أو أشدة ذكرنا ، أو أشدة
 ذكرا ، أي : بل أشدة ذكرنا (٢) فمن الناس ومنهم أهل
 الجاهلية من يقولون : ربنا آتنا من الدنيا . ويقولون
 بسؤال الله تعالى فطهرهم من الدنيا من مال وجاه وصحة وما إلى
 ذلك ، ولذلك لم يأت في الآية على لسانهم لفظ « حسنة »
 وللهذا قيل : وهو لا يصدقهم من خيرا الآخرة شيئا من

(١) سورة البقرة ٢٠١

(٢) البحر المحيط ١٠٣/٢

خلاق ، ولا نصيب (١) ولا حظاً (٢)
 ومنهم ، وصم المسلمون لله تعالى رب العالمين ، من
 يقول : يا ربنا ، آتنا من هذه الدنيا حسنة ، وصي الحياة
 الطيبة ، ومن الآخرة حسنة ، تمثل في القول من
 جنات النعيم ، وقينا يا ربنا عذاب النار ، وأبعد عنا
 يا ربنا عذاب الجحيم .

وحيث إن الآيتين الكرختين تتعلقان بالبحر إلى
 بيت الله تعالى الحرام فحدث معناه أن القول في الآية
 التريخية الأولى : هو خاذا قضيتهم مناسبتكم في خاذا قضيتهم
 مناسبتكم جكم إلى بيت الله تعالى الحرام .
 وقد تفرغنا أن البحر إلى البيت الحرام يتعلق به كل
 أنواع العبادات من توحيد لله تعالى ، وصلاة ، وزكاة ،
 وصحفة ، وسائر العبادات .

وبذلك يكون القول صنا : خاذا قضيتهم مناسبتكم
 به ورخص ذلك المعنى الذي يفيد القول السابق على
 لسان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام (وَأَرْسَلْنَا سَكَنًا
 وَبَرَكَةً يَنْتَهِ حَيْثُ نَا عَنْ مَادَّة : «نَسْكَ» في القرآن
 التريخ ، وكذلك شئ بشأن تطوّر الدلالة إلى ما يلي ،
 ١- أخارت هذه المادّة : «نَسْكَ» في اللغة ، وفي قول
 الحق جل وعلا في سورة البحر الآية رقم ٦٧ : لِكُلِّ
 أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنُشَكَاً هُمْ نَاسِكُوهُ خاذاً هذه المادّة معن

(١) تفسير الطبري / ج ١٧ / تفسير القملي ج ٨ / الجلالين والكليني / ٢٦٦
 (٢) تفسير ابن كثير / ٣٥٠

المكان والمألف أن رأيت لفظ الناس، ويقصدونه،
ويعتادونه لغيره أو شتر. وبشأن قصدهم بعبارة هم
يقصدونه لأداء شجرة البحر، فقد جعل الله تعالى لكل
أمة رسول مكاناً يقصدونه، وبألفونه، ويحجون إليه
وهذا المستور من لالة من نصيب آيتي سورة البحر
برقم ٦٧ و برقم ٣٤

٢ - وبشأن قوله تعالى في سورة الأنعام الآية رقم ١٦٢
قُلْ إِنِّي صُلْتُ وَنَسُكِي الْمَعْنَى قُلْ يَا مَسْمُومٌ، إِنَّ هَدَوْتُمْ
وَأَنْ نَسُكِي وَذِكْرِي نَسِيكِي، أي ذبيحتي في البحر.
ويلاحظ أن ذبح النسيكة من البحر من أهم معاملته،
وتمتدح من هذه المعالم بالنسك.

٣ - وبشأن قوله تعالى في سورة البقرة الآية رقم ١٩٦
يَوْمَ نَقُضِي مِنْ دِيَارِهِمْ أَوْ حَقَّةً أَوْ نَسُكًا لِمَعْنَى
النسك : ذبح شاة. وهكذا يتبين أن المعنى هنا
يدور في ذلك المعنى رقم (٢)

٤ - وبشأن قوله تعالى في سورة البقرة الآية رقم ٢٠٠
يَوْمَ نَقُضِي مِنْ دِيَارِهِمْ أَوْ حَقَّةً أَوْ نَسُكًا لِمَعْنَى
مناسككم من أضاء أديانكم حجكم إلى بيت الله تعالى الحرام،
وإذا قمتم بأداء كل شعائر البحر، ومن هذه الشعائر
ذبح النسيكة، أي الذبيحة. فمعنى المناسك واسع
كما يشمل كل مناسك البحر وشعائره.

وَبَشِّرْهُنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ عَلَى لِسَانِ
 إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، مِنْ آيَةِ الْكَرِيمَةِ
 بِرَقْمِ ١٢٨: ﴿وَأَرْسَلْنَا سَيْكُنًا بِكُمْ وَأَرْسَلْنَا بِكُمْ اللَّهُ كُلَّ
 مَنْاسِكَ الْحَجِّ إِلَى بَيْتِكَ الْحَرَامِ، وَلِكُلِّ شَعَائِرٍ حَنِيفَةٍ
 إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِنَّ هَذَا الْفَرْمَ الْوَاسِعَ لَمَعْنَى
 الْمَنْاسِكَ مُبَيَّنًا عَلَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا
 السَّلَامُ، يَرْفَعَانِ أَنَّ قَوَاعِدَ بَيْتِ اللَّهِ تَعَالَى الْحَرَامِ،
 وَصَوَاؤُا بَيْتِ وَضْعُهُ، اللَّهُ تَعَالَى مِنْ الْأَرْضِ لِعِبَادَتِهِ
 عَزَّ وَجَلَّ، وَتَقْدِيرُ تَعَالَى (إِمْ) يَوْمَ أَنَّ آيَةَ بَيْتِ وَضْعِ
 لَنَا مِنْ نَتَذَرُ بَيْتَهُ مَبَارَكًا وَصَدَّ لِلْعَالَمِينَ كَمَا
 بِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ بِنَاءِ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ
 يُؤْمَرُ بِأَنْ يُؤْذَنَ مِنَ النَّاسِ بِالْحَجِّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ
 تَعَالَى الْحَرَامِ.

وَهَذَا يُبَيِّنُ أَنَّ الَّلَفَّ أَفَادَتْ بَشَائِرَ مَا ذَكَرَ
 : «نَسْكَ» الْقَصْدُ، وَالْإِعْتِيَادُ، وَالْإِلَافُ،
 أَمَّا هَذِهِ الْمَلَاذَةُ : «نَسْكَ» مِنَ الْقُرْآنِ
 أَنْهِيَ فَقَدْ بَيَّنَّ أَنَّ لَهَا آخَافًا وَاسِعَةً، وَأَجْوَاءَ
 رَاجِيَةً.

وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ، وَحَمْدُ اللَّهِ وَسَلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

(١) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ٩٦

٩ غير مسافحين

جاءت مائدة : «تصفح» من القرآن الكريم أربع
مترات . وهذه المرات هي كل التحويلات . جاء في سورة
الأنعام الآية رقم ١٤٥ قوله تعالى : «ولا
تأخذ فيها أوصالاً» الآية مكرراً على طائفة يطعمه إلا
أن يكون قبيحة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه
رجس أو فسقاً أصل لغير الله به فمن اضطر
غير باغ ولا عار فإن ربك عفونٌ رحيم
وجاء في سورة النساء الآية رقم ١٥ قوله
تعالى : «والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم
كتاب الله عليكم . وأحل لكم ما وراءكم من أن تتبعوا
بأصواتكم محصنين غير مسافحين . فما استأنستم به
منهن فلا توفون أجورهن فريضة . ولا جناح عليكم
فيما تراضيتن به من بعد الفريضة . إن الله كان
مليماً حليماً»

وجاء في سورة المائدة الآية رقم ٥ قوله
تعالى : «واليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين
أوتوا الكتاب حلالٌ لكم وطعامكم حلالٌ لهم والمحصنات
من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب
من قبلكم إذا آتيتهم وصحت أجورهن محصنين غير
مسافحين ولا متخذين أقدان . ومن يكفر بالإيمان فقد
حبط عمله وهو من الآخرة من الخاسرين»
وجاء في سورة النساء الآية رقم ١٥ الآية
رقم ٥ : «قوله تعالى : «ومن لم يستطع منكم لهُؤلئان
ينكح المحصنات المؤمنات فيهما ملكت أيمانكم من فتياتكم

المومنان . والله أعلم بما نكم . بعضكم من بعض .
 فانكوصت يا ذن ؟ صليت وآيتوصت أجور من بالمعروف
 موصيات غير مسافات ولا متخذات أخذان . فإذا
 أخصيت فإن آتين بفاحشة فعليهن نصف ما على
 المؤمنات من العذاب . ذلك لمن خشيت العنت منكم .
 وأن تهبروا خير لكم . والله غفور رحيم .
 ومن البين أن المومنع الأول من القرآن الكريم
 الذي جاءت فيه مادة : «سفع» صوالية الكريمة
 الرابعة والعشرون من سورة النساء الكريمة .
 ومن البين أننا نقصد من الآية الكريمة من المقام
 الأول قوله تعالى : «محصنين غير مسافحين»
 محصنين : متزويجين (١) ألقاها بابتغائكم ما وراء
 ما حرم عليكم من النساء بأموالكم (٢)
 غير مسافحين : غير زانيين (٣) والسفاح : الزنا (٤)

فها معنى السفاح من اللغة . معناه سكب الماء
 صدرا ، وإراقة سفرا . يقول ابن فارس (٥) سفع :
 السبي والفاء والحاء أصل واحد يدل على إراقة
 شيء . يقال : سفع الدم إذا صبته ، وسفع الدم : هراقه .

- (١) الجلالين :
 (٢) تفسير الطبري ١/٥
 (٣) تفسير الطبري ١/٥ و الجلالين
 (٤) انظر تفسير الطبري ١/٥ و الجلالين
 (٥) معجم مقاييس اللغة : «سفع» ١/٣

والتسفاح : صب الماء بلا عقد نكاح فهو كالشئ
يسفح ضياعاً

وتبين من قول ابن فارس أن صفة مستويين
مرت بهما مادة التسفاح . المستوي الأول هو
الحقيقي ، المتعلق بسكب السائل القيم ضياعاً ،
وذلك كسفع الماء أي سكبه صَدْرًا من بلاد يغلو فيها
الماء ويشخ ، وكسفع الدم من حق الحيوان مثلاً أو
من حق الإنسان . إن هذا المستوي الأول هو
المستوي الحسي الذي عرفت هذه اللغة .
والمستوي الآخر المعنوي الذي تبينه من كلام
ابن فارس هو المستوي المعنوي ، والذي يرتبط
بالقرآن الكريم وبالإسلام ، وذلك باستعارة التسفاح ،
وتوحيده بسكب ماء الرجل وماء الحياة قَدْرًا ، ذلك
الماء الذي خلقه الله تعالى وحده لا شريك له ،
والنطفة التي جعل الله تعالى منها كلًا من الذكر
والأنثى .

إن هذا الماء الذي يخرج من صلب الرجل ، وهذه
النطفة إنما ينبغي توحيدهما وتوحيدهما فيما أحل الله
تعالى بأن نبتغي ما كتب الله تعالى لنا من لذّة من طريق
الزواج الحلال ، وليس من طريق التسفاح والزنا ،
ولا صدار هذه النطفة بوضعها في غير موضعها ، وإتقاء
الحرام والحلال ، وما يترتب من الزنا والعياذ بالله
من هلاك الحرث والنسل .

إن هذا المستوي الآخر المعنوي هو الذي

ارتقت إلى استعماله كل الآيات التكريمات التي جاءت فيها
 هذه المادة اللغوية : «سفع»
 ويات ما يقال عن المعنى من آية كريمة واحدة يقال
 عن المعنى من كل الآيات التكريمات والآخريات .
 وهذا تفسير موقر للآية التكريمة الرابعة والعشرين
 من سورة النساء الكريمة ، والله تعالى أعلم فوحيتم عليكم أيها المؤمنون
 من النساء الفئة الرابعة عشرة والأخيرة من
 المحرمات ومن المحصنات من النساء ، ومن
 ذوات الأزواج (١) إلا ما ملكت أيمانكم : من الإماء
 بالشبي فلكم وطؤصن وإلا كان لهن أزواج من دار
 الحرب بعد الاستبراء (٢) كتب الله تحريم ما حرم
 من ذلك وتحليل ما حلل من ذلك عليكم كتاباً (٣)
 وأحل الله لكم ما وراء ذلكم من المحرمات الأربع
 عشرة أن تبتغوا وتحلبوا النساء (٤) يأموكم
 ويخرج المهور كصنيين : متزوجين (٥) أعضاء
 بابتغائكم ما وراء ما حرم عليكم من النساء يأموكم (٦)
 غير مسافحين : غير زانيين ، والتسفاح : الزنا (٧)

(١) تفسير الطبري ٢/٥

(٢) الجلالين

(٣) تفسير الطبري ٢/٥

(٤) الجلالين

(٥) الجلالين

(٦) تفسير الطبري ١/٥

(٧) تفسير الطبري ١/٥

فما استمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن فريضة،
 فمن لم يمتنع به منهن مما أنزل الله فإثم لإيوائه (١)
 فما أتوهن أجورهن فريضة: فما أعطوهن مهرهن
 أنتم فريضة لهن فريضة (٢)
 ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة:
 ولا حرج عليكم أن أنكِهن أو أن تزواجهن (٣) فيما تراضيتن
 أنتم وهن: به من بعد الفريضة: من طهرها أو
 بعضها أو زيادة عليها (٤)
 إن الله سبحانه وتعالى كان دائماً وأبداً قليلاً:
 لا يخفض عليه شيء من الأرض ولا من السماء حكيمًا:
 على كل ما يذكركم به ويتقصر، ومن كل ما يشاء ويفعل.

ويلاحظ أن القول واحد في الآيتين الكریميتين
 الرابعة والعشرين من سورة النساء والخامسة من
 سورة المائدة. وهذا القول هو: هو محضين غير
 مسلمين كما أن غير زانيين. وهذا المعنى ذاته هو

- (١) الجلالين.
- (٢) تفسير الطبري ٩/٥
- (٣) تفسير الطبري ١٠/٥
- (٤) الجلالين.

الذي يعنيه القول في الآية الخامسة والعشرين
من سورة النساء الكريمة: «وَمِنْكُمْ نَجِيفَةٌ غَيْرُ مُسْتَحْسِنَةٍ»
وهذا يكون المعنى من هذه الآيات الكريمات متعلقاً
بتطوّر دلالة مادة: «سَفَح» إلى المستوي الأعلى المعنوي
فالسفاح هنا بمعنى الرثا.

ويبقى بعد ذلك الموضوع الرابع والأخير مستقلاً
هذه المائدة في القرآن الكريم وذلك من سورة الأنعام
الآية رقم ٥١ من قوله تعالى: «يَوْمَ تَأْتِي سَأَلَ الْمُسْلِمِينَ
أَوْ جِيءَ إِلَى مَحَرِّ مَا عَمِلُوا فِيهَا يَوْمَ تَأْتِي سَأَلَ الْمُسْلِمِينَ
مِثْلَ أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا يَوْمَ تَأْتِي سَأَلَ الْمُسْلِمِينَ (١) عَنْ ابْنِ
مُبَارَك: يعني المتهراق (٢) يقال منه: سَفَحَ دَمَهُ
إِذَا أُرْقِيَهِ أَسْفَحَهُ سَفْحًا فَهُوَ دَمٌ مَسْفُوحٌ (٣)
وهكذا يتبين أنّ السّفح هنا مرتبط بمرحلة استعمال
هذه المائدة لغوياً وضمن مستواها الحسي.

وبعد هذه الجولة الواسعة مع مادة: «سَفَح»
يتبين أنّ المستوي الأول لغوياً حسيّاً، يستعمله
المتلقي. وهذا المعنى جاء في الآية الكريمة من سورة
الأنعام الكريمة. أمّا من الآيات الكريمات الثلاث
الأخرى فقد تمّ استعمال هذه المائدة في المستوي

- (١) تفسير الطبري ٨/٥١
(٢) تفسير ابن كثير ٣/٤٦٦
(٣) تفسير الطبري ٨/٥٢

الآخرة على المعنوي، بمعنى سكب ماء الصليب من
الذكر عن غير موضعه، أي في مجال الزنا، ولا حول
ولا قوة إلا بالله تعالى العلي العظيم.
والله تعالى أعلم.

١- ﴿ رَبَّنَا قَبَلْنَا مِنْكَ أَرْوَاحَنَا وَذَرْنَا نَأْتِيَنَّكَ أَعْمِينَ ﴾
 جاء الحديث عن تحريرة العين عن القرآن الكريم من
 ستة مواضع (١) وهي على النحو التالي . جاء في سورة طه ،
 الآية رقم ١٠١ قوله تعالى : ﴿ وَرَجَعْنَاهُ إِلَىٰ آثَارِهِ ﴾
 ﴿ نَفْسًا عَمِيضًا وَلَا تُحْزِنُ ﴾ وجاء في سورة القصص ، الآية
 رقم ١٣ قوله تعالى : ﴿ وَخَرَدْنَاهُ إِلَىٰ آثَارِهِ ﴾
 ﴿ نَفْسًا عَمِيضًا وَلَا تُحْزِنُ ﴾ وجاء في سورة الاحزاب ، الآية
 رقم ٥١ قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ نَقْرَأَ عَمِينَ ﴾
 ﴿ وَلَا تُحْزِنُ ﴾ وجاء في سورة الفرقان ، الآية رقم
 ٤٧ قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا قَبَلْنَا مِنْكَ أَرْوَاحَنَا وَذَرْنَا نَأْتِيَنَّكَ أَعْمِينَ ﴾ وجاء في
 سورة القصص الآية رقم ٩ قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ
 امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لَهَا وَلَهَا ﴾ وجاء في
 سورة السجدة ، الآية رقم ٧١ قوله تعالى : ﴿ فَلَا
 تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً لِّمَا
 كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

وبدلاً استننا لكل هذه المواضع الستة عن
 القرآن الكريم تبيننا أنها كلها لها علاقة بالقرّة
 بضم القاف ، بمعنى البرد ، كما نقول مثلاً :
 « قُرَّةُ الْعَيْنِ » له علاقة ببرودة العين حسياً ، وريحاً
 العين له البرد ، وتقول هذه الراحة إلى سعادة النفس وانشراح الصدر .

(١) المجمع المفرد لألفاظ القرآن الكريم : « قرّة »

وهذا التطور في دلالة معناه أن القول : « قرّة العين »
 ارتقى من المستوي الأول الحسي إلى المستوي الآخر المعنوي.
 وإليك ما يقول من هذا المعنى السرائر الأصفهاني (١)
 : « القرّة وهو البرد . . . وقيل : قرّت ليلتنا قرّة
 . . . يوم قرّة و ليلة قرّة . . . وقرّ فلان فهو مقرر أصله
 القرّ . . . وقرّت عينه قرّة : سُرّت . . . قال :
 هو كـ قرّة عينها . . . وقيل يمتدّ يستر به : قرّة عين
 قال : هو قرّة عين لمن وثق به وقوله : هو صبرنا
 من أمر واجبنا وذّرّ يأتنا قرّة أعين به قيل : أصله من
 القرّ ، أي البرد . . . وقرّت عينه قيل : معناه برّدت
 فصحت » (٢)

مما سبق يتبين أن لهذه المادّة : « قرّة » مستويين
 من الدلالة . المستوي الأول هو اللغوي الحسي
 وتفسير ذلك أن القول : « قرّة العين » يشير إلى
 البرد ، وإلى الجو البارد وإلى البيئة الباردة . لأن لكل
 ذلك أثراً صحياً طيباً على العين ، فيأن برد العين
 بسبب برّد الجو صحّة لها . وذلك مقابل حرّ العين ،
 فيأنه من البيئة الحارّة ، ومنها جزيرة العرب ، مؤوّد
 بالعين . لأن اللغة العربيّة وقعت من استعمالها
 لهذه التعبيرات : « قرّة العين » عند المستوي الأول
 الحسيّ لصحّة العين بسبب البرد والقرّ .

- (١) مفردات السرائر الأصفهاني : « قرّة » ٥١٤/٢
 (٢) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٧/٥ : « قرّة »

أما القرآن الكريم فإِنَّ كُلَّ استعمالٍ لِهذه المادة
: «قُرْ» تتعامل مع المستقوس الآخر المعنوي الرُّملي.
وهذا المستقوس الرُّملي المعنوي يتجاوز برد العين
حَسْبًا، ويختار جسدًا، إلى إضادة قُرْ العين،
وسعادة النفس، وإيضاح الصدر، وتتميز
السرور، وتُجزم الجور.

فلنتعامل مع موقع واحد من القرآن الكريم،
فإن الحديث من هذا الموضوع هو ذات الحديث عن
المواضع الأخرى. وليكن هذا الموضوع من سورة
الفرقان المكية الكريمة، التي تتحدث من آخرها
عن نعوذ بعباد الرحمن. ومن هذه النعوت قوله
تعالى (١). يا ذا الجلال والإكرام يقولون ربنا صاحبنا من
أزواجنا وذرياتنا قُرْ أمين واجعلنا للمتقين
إمامًا مائتًا.

المعنى، والله تعالى أعلم، إن من نعوت عباد
الرحمن الذين هم أَقَلُّ لهذه الصفة العظيمة،
والمرتبة الرفيعة، أنهم يَدْعُونَ الله تعالى أن يربِّ
لهم من أزواجهم ومن ذرياتهم ما تقرُّ به أعيانهم، وتُسعد
به نفوسهم، وتُنشئ لهم صدورهم بأن يتقوا الله تعالى
حق تقواه، وأن يوفقهم كلَّ شيء يبلغوا مرتبة التقوى،
وأن يكونوا أئمة المتقين، وأئمة الحسنة لهم،
والمقدوة المثل. والله تعالى أعلم.

(١) سورة الفرقان ٧٤

١١- هو وقت يهاجر من سبيل الله بحرف من الأرض ما كثيراً
 جاءت لفظة "مراقم" مترجمة واحدة من القرآن
 الكريم، وذلك من الآية رقم ١١ من سورة النساء
 المدينية الكريمة. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَهاجِرْ مِنْ سَبِيلِ اللَّهِ
 يَجِدْ مِنَ الْأَرْضِ مَرَاتِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً. وَمَنْ يَخْرُجْ
 مِنْ بَيْتِهِ مَهاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ
 فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ. وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾
 ونحن نود أن نسير مع جزئيات الآية الكريمة
 خطوة خطوة.

١- تتحدث الآية الكريمة عن الله يهاجر من سبيل
 الله تعالى، ويترك بلاد الكفر التي لا يستطيع أن يمارس
 فيها هدي الإسلام، وبالتالي يهاجر إلى البلد الذي
 يستطيع أن يمارس فيه شعائر الإسلام بحرية كاملة.
 إن هذا الذي يهاجر من سبيل الله تعالى، يُعِدُّه الله
 تعالى، ووعد الحق، بخير الدنيا والآخرة.

٢- إن هذا الذي يُعِدُّه الله تعالى بخير الدنيا
 والآخرة هو الذي يهاجر من سبيل الله تعالى وحده
 لا شريك له، وليس وراءه دنيا يهينها أو امرأة يتزوجها.

٣- نزلت هذه الآية الكريمة من أناس معينين (١)
 ومعلوم أن العبارة بعوم اللفظ لا بخصوص السبب.

(١) انظر تفسير ابن كثير ٢/٢٤٦ وتفسير الطبري ٥/١٥١

عن ابن عباس قال : خرج ضمرة بن جندب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهاض من الطريق قبل أن يجلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية الكريمة (١٦) وما أضحك أن الشطر الثاني من الآية الكريمة يتحدث عن هذا الموضع .

ج - إن القول في الآية الكريمة : لا يجد من الأرض مراغما كثير المح يتعلق بفضل الله تعالى على المهاجر فرائداً من الطريق مهاجراً . وإن القول : هو وسعة « يتعلق بالغاية ونهاية الطريق ، وإيها بفضل الله تعالى به على المهاجر فرائداً من سعة من الرزق ، وسعة من المكان ، وسعة من الأصل والأحباب ، وسعة من ممارسة صدي الإسلام بأمن ، وراحة بال ، وسعادة واطمئنان .

هـ - إن لفظة « رانم » ذات معاني كثيرة إذ إن لها تملأقة بالأصل اللغوي : « رانم » فرائداً هي من لفظة « رانم » بتثنية السراء ، فيقال « رانم » و « رانم » و « رانم » (٢) من معانيها الكره ، والهوان ، والذل ، والتراب ، والافتقار ، والفقر ، والغضب ، والخضوع ، والسخة ، والكبر . وكثير من هذه المعاني يفيد اللفظ : « رانم » بحيث إننا نستطيع أن نفرم من القول : « رانم » بمعنى رانم الخصم خصمة

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٤٦

(٢) لسان العرب : « رانم »

أي غلبه حتى وضع أنف الخنم من الشرغام أي الشراب،
وترتب على هذا الانتصار بخصب المهرزوم، وسخطه، وذلك،
وقهره، وصوانه، وحنوعه، وانكساره، وكأن أنف
المهرزوم، والثأنف، من العزة، كأن أنف المهرزوم غير من
من الشراب، ودش من الشرغام.

إِنَّ كُلَّ هَذِهِ الْمَعَانِ السَّيِّئَةِ الْمُرْتَبِطَةُ بِالْمَهْرُومِ تَبْلُغُ
بِالتَّكْفَارِ الَّذِينَ غَادَرُوا الْمُهَاجِرِينَ سَبِيلَ اللَّهِ تَعَالَى،
وَمَا هُوَ ذَا الْمُهَاجِرُ قَدْ بَيَّسَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الطَّرِيقَ، وَذَلِكَ
لَهُ السَّبِيلُ، وَمَا هُوَ ذَا يَجِدُ فِي دَرْبِ الْمُحْرَّةِ الطَّرِيقَ
سَالِكًا، وَالتَّبْيِيسُ مُبَيَّسًا، وَهِيَ هِيَ ذَا الطَّرِيقَ مُتَعَدَّةً،
وَالسَّبِيلُ كَثِيرَةٌ، وَكَأَنَّهُ بَعْدَ خَطْوَاتِهِ لَا يَطَأُ الشَّرْغَامَ
وَالشَّرَابَ، إِنَّمَا يَطَأُ أَنْفُ الْكَافِرِينَ أَعْدَاءِ اللَّهِ
تَعَالَى، وَمَا هِيَ ذَا أَنْفُ هُمْ مِنَ الشَّرْغَامِ، وَمَا هُوَ ذَا
الْمُهَاجِرُ يَجِدُ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى السَّبِيلَ الْمُبَيَّسَ.
إِنَّ لَفْظًا: «مِرَاغِم» تُشِيرُ إِلَى السَّبِيلِ الْمُبَيَّسَةِ،
وَأَنَّ الصَّغْفَةَ: «كثير» تشير إلى المسالك الكثيرة
التي سلكها الله تعالى لعبده المهاجر في سبيله.

وَأَنَّ لَفْظًا: «سَعَةً» تُشِيرُ إِلَى وَعْدِ اللَّهِ تَعَالَى
هَذَا الْمُهَاجِرُ، وَوَعْدُهُ الْحَقُّ، بِأَنَّهُ سَوْفَ يَجِدُ بِإِذْنِ اللَّهِ
تَعَالَى حِينَهَا يَصِلُ إِلَى غَايَتِهِ، سَوْفَ يَجِدُ السَّعَةَ مِنْ
كُلِّ شَيْءٍ، مِنَ الرِّزْقِ، وَمِنَ الْمَالِ، وَمِنَ الزَّمَانِ، وَمِنْ
الرَّحْمَنِ وَالْأَحْبَابِ، وَسَوْفَ يَجِدُ الْبَيْتَ الْوَاسِعَ
الَّذِي يَمَارِسُ فِيهِ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى قَدِيمًا بِإِسْلَامِهِ، بِكُلِّ
حُرِّيَّةٍ وَاطْمِئْنَانٍ.

٦- وإِنَّ مِنْ نَفْسٍ الْهَجْرَةِ مِنْ سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنْ
 مَنْ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ مُرَاجِرًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَى
 رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ أَجْرُهُ الْكَبِيرُ عِنْدَ
 اللَّهِ تَعَالَى بِحَبْرٍ وَأَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهِ بَنِيَّةَ الْهَجْرَةِ
 وَإِنْ مَنْ وَقَدْ إِلَى مُرَاجِرِهِ لَهُ أَجْرُهُ الْكَبِيرُ عِنْدَ اللَّهِ
 تَعَالَى، وَإِنْ مَنْ مَاتَ فِي طَرِيقِ هَجْرَتِهِ قَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ
 الْعَظِيمُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.
 إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَأَنْ رَأَيْتُمْ وَأَبْدَأَ غَفُورًا ذَنْبِ
 مَنْ اسْتَغْفَرَهُ، رَحِيمًا بِمَنْ صَدَّاهُ إِلَى التَّوْبَةِ فَتَابَ
 وَأَنْابَ. إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى تَسْغِي كُلَّ شَيْءٍ.

إِنَّ لَفْظَةَ: «مُرَانِمٌ» مِنْ لَفْظَةِ تَعَامُلٍ مَعَ
 الْمُسْتَوْسِ الْأَوَّلِ الْبَشَرِيِّ الْمَتَعَلِّقِ بِالْمُرَانِمَةِ
 وَبِالْمُنَا صِحَّةً، وَإِنَّ لَفْظَةَ: «مُرَانِمٌ» مِنَ الْآيَةِ
 الْكُرِيمَةِ لَهَا كُلُّ تِلْكَ الْأَفَاقِ الْمَعْنَوِيَّةِ الَّتِي أَوْمَأَتْ
 إِلَى بَعْضِهَا، وَهِيَ مَعَانٍ مُتَعَدَّةٌ، وَهَذَاكَ صَيِّغٌ
 مُتَخِلِّفٌ لِلْمُسْتَقَاتِ مِنَ الْأَصْلِ: «رَانِمٌ» وَإِنَّ كُلَّ هَذِهِ
 الْمَعَانِ يَفِيدُهَا لَفْظُ: «الْمُرَانِمِ» فِي الْآيَةِ الْكُرِيمَةِ، بِإِثْبَاتِ
 إِلَى مَعَانٍ أُخْرَى نَفْهَمُهَا وَلَكِنَّا نَعْبَرُ عَنِ التَّعْبِيرِ عَنْهَا.
 إِنَّ كُلَّ هَذِهِ الْمَعَانِ أَخَاوُهَا فِي الْآيَةِ الْكُرِيمَةِ
 الْقَوْلُ بِطَوِّ وَمَنْ يَرَاهُ جَرَّ مِنْ سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدُ خِطَابَ
 مُرَانِمًا كَثِيرًا صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ وَهُوَ
 اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

١٢- هو وقد أفضى بعضكم إلى بعضكم
 لقد جاءت جملة: «أفضى» مرة واحدة في القرآن
 الكريم، وذلك في الآية الكريمة رقم ٢١ من سورة
 النساء المدنية الكريمة، وذلك في معرض الإنكار على
 الأزواج الذين أرادوا أن يستبدلوا زوجة بأخرى،
 فأرادوا أن يستردوا المهر الذي أعطوه الزوجة
 من قبل أو بعفنه. والحقيقة أن هذه الآية الكريمة
 «مربطة» بمساقتها تمام الارتباط. وهاتان هما آيتان
 الكريمتان رقم ١٠ و ١١ من سورة النساء الكريمة.
 قال تعالى: «وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج
 وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً»
 «تأخذونه بهتاًناً وإثماً مبيناً». وكيف تأخذونه وقد
 أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً
 وبيننا وبين الوقوف ملتباً بماذن الله تعالى عند القول
 هو وقد أفضى بعضكم إلى بعضكم نقوم بتفسير موجز
 لكيتين الكريمتين. إن الآية الكريمة الأولى تقول:
 «الأزواج الذين يريدون أن يطلقوا زوجاتهم، دون
 أن يكون من الزوجة نشوز ولا عصيان، ولكن الله
 تعالى صومات القلوب ومعتزها، تقول الآية الكريمة:
 «وإن أردتم أيها الأزواج أن تستبدلوا زوجة
 جديدة بأخرى مطلقاً، وقد كنتم أعطيتهم الزوجة
 الأولى قنطاراً كبيراً وما لا كثيراً، ولو كان قنطاراً من ذهب،
 وذلك استثنائاً بالآية الكريمة الخامسة والسبعين من سورة
 آل عمران الكريمة، التي قرئت بين القنطار وبين الدنيا،

ويراكمون الله ينابوا من الله صب . قال تعالى (١) بطله ومن
 أصل الكتاب قن إن تأمنه بقنطار يؤد به إبيك ومنهم
 قن إن تأمنه بدينا لا يؤد به إبيك إلا ما دمت عليه
 قائما . ذلت بأنهم قالوا ليس علينا من الأقيين سبيل
 ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون . وقد كتمت أعطيت
 الزوجة مهرها قنطارا من ذهب ، فلا تأخذوا منه شيئا .
 تأخذون المهر أو بعضه بهتاناً ضلكم ، ولما بغير حق (٢)
 وإثماً مبيناً ، وذنباً بيننا (٣) واضحا .
 والآية التريجة الثانية من إنكار من هم بفعل ذنب ،
 وها هي ذنباً تنكر على الذين أرادوا الاستمرار في
 من المهر دون وجه حق . وكيف تأخذون ظاهراً وعدواً
 ذلك الجزء من المهر أم المهر كاملاً وقد أفضى كل من
 الزوجين إلى الآخر ، ووصل كل منهما من الآخر إلى
 أعمق الأعماق وأبعد الآفاق . ألم يقل الله تعالى
 في كتابه العزيز (٤) : **وَيَتَذَكَّرُ الْفَضْلُ بَيْنَكُمْ كَيْفَ**
يُرِيدُ الزَّوْجُ أَنْ يَرْكَبَ ، بِأَخْذِهِ الْمَهْرَ أَوْ بَعْضَهُ ، بِهَتَاناً
ظَاهِراً ، وَإِثْماً بَيْنَنَا . وَهَلْ نَفْسِي الزَّوْجُ فَضْلُ اللَّهِ
تَعَالَى عَلَيْهِ فَخَالٍ مِنْ زَوْجِهِ أَقْضَى مَا يُمْكِنُ أَنْ يَنَالَ
مَخْلُوقٌ مِنْ مَخْلُوقٍ مِنَ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ . أَمْ نَفْسِي الزَّوْجِ

- (١) سورة آل عمران ٧٥
 (٢) تفسير الطبري ٤/ ٢١٤
 (٣) الجلالين
 (٤) سورة البقرة ٢٣٧

أَنَّهُ رَهِيمٌ أَن يَفْعَلَ ذَلِكَ أَنَّهُ أَرَادَ أَن يَفْعَلَ شَيْئًا
 نَزَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ، وَنَزَاهُ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
 وَهَمَّ أَن يَفْعَلَ شَيْئًا تَابَاهُ مَرُوءَةُ الْإِنْسَانِ وَشَرَامَةُ
 الرِّجَالِ، وَأَخْلَقَ أَوَّلَ الْكَرَمِ وَالْإِيمَانِ. أَنَّنِي هَذَا
 أَنَّهُ كَارَتْ تَزَلُّ بِهِ الْقَدَمُ أَنَّ هَذَا اللَّهُ سَأَلَ مِنْ
 زَوْجَتِهِ لِيَتَمَّتْ بِإِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لِيُشْرِيكَ لَهُ،
 وَإِلَّا غَيَّرَ الْخُفَّاءَ الزَّوْجَةَ أَسْهَلَ مِنْهُ أَحَدًا هَذَا
 خَرَجَ السَّمَاءِ، وَجَبَدَ السَّمَاءَ خَرَأَ عَمَاقِ الْمَبِيطِ.
 أَنَّنِي هَذَا أَنَّهُ رَهِيمٌ أَن يَفْعَلَ مَا يُغْضِبُ اللَّهَ
 تَعَالَى الْمِيثَاقَ الْغَلِيظَ أَنَّهُ سَأَلَ خَذَ مِنْهُ الزَّوْجَةَ.
 أَمَا الْمِيثَاقَ خَرَجَ الْعُرْدُ الْوَشِيقَ، وَمَا الْغَلِيظَ
 خَرَجَ الْوَشِيقَ خَرَجَ الْعُرْدُ الْوَشِيقَ، وَمَا الْغَلِيظَ
 أَمَا هَذَا الْمِيثَاقَ الْغَلِيظَ أَنَّهُ سَأَلَ خَذَ مِنْهُ خَرَجَ قَوْلَهُ
 تَعَالَى مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ الْكُرَيْمَةِ (١): هُوَ عَمَّا يَشْرُوهَنَ
 بِالْمَعْرُوفِ هـ

وَنَحْوُ الْآنَ إِلَى مَعْرِضِ ثَلَاثِينَ
 الْكُرَيْمَتَيْنِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: هُوَ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُهُمْ
 إِلَى بَعْضٍ هـ
 وَنَحْنُ نَوَدُّ أَن نَتَخَذَ بِشَأْنِ جُمْلَةٍ: هُوَ أَفْضَى هـ
 مِنَ الْمُسْتَوِيِّينَ الْفَعْوَى الْحُسْنَى، وَالْمُسْتَوَى الْمَعْنَوِي
 اللَّهُ يَنْبِئُ.

(١) سورة النساء ١٩

إِنَّكَ إِذَا قَصَدْتَ مَكَاناً قَاصِياً، وَنَلْتَ مَقْصِدَكَ، وَحَقَّقْتَ
 أَصْنِيَّتَكَ، وَوَصَلْتَ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ إِلَى أَمَامِ مَوْضِعِ
 خِيَمَةٍ، وَأَمَحَقَ نَقْطَةً مِنْهَا، وَوَقَفْتَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ،
 وَنَظَرْتَ فِي كُلِّ الْجِهَاتِ أَرْبَعاً، وَلَمْ تَجِدْ شَيْئاً يَحُولُ
 بَيْنَ بَصَرِكَ وَأَنْ يَبْلُغَ أَقْصَى مَدَاهِ، فَخَلِيسَ هُنَاكَ
 شَجَرٌ قَاصِمٌ، وَلَا جَبَلٌ مُنْتَصِبٌ، وَلَا حُفْرٌ بَارِزٌ،
 وَلَيْسَ هُنَاكَ أَيْ شَيْءٌ يَحْجُزُ بَيْنَ الْبَصَرِ مِنْ أَنْ يَبْلُغَ
 أَقْصَى مَدَاهِ، إِذَا بَلَغْتَ هَذَا الْمَوْضِعَ قُلْتَ لِنَفْسِكَ
 أَفْضَلْتُ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ، أَيْ بَلَغْتَ أَمَحَقَ الْأَمَاقِ.
 إِنَّ أَلْفَ الْعَرَبِيَّةِ بِشَأْنِ جُمْلَةٍ: «أَفْضَلُ»
 بَلَغْتَ هَذَا الْمَكَانَ، الْحَسَنِيُّ الْبَعِيدَ.

أَمَّا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ خِيَانَتُهُ فِي الْقَوْلِ: وَهُوَ قَدْ
 أَفْضَلَ بَعْضَكُمْ إِلَى بَعْضٍ قَدْ اشْتَمَلَ عَلَى كُلِّ هَذِهِ
 الْمَعَانِي مِنَ الْمُسْتَوِيِّ الْحَسَنِيِّ، وَتَخَطَّاهَا إِلَى
 الْمُسْتَوِيِّ الْأَخِيرِ الْأَعْلَى الْمَعْنَوِيِّ الْمُنْفَعِ كُلِّ
 مَظَاهِرِ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى التَّزْوِجَيْنِ الَّذِينَ جَعَلَ
 اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَهُمَا كُلَّ مَوَدَّةٍ وَرَحْمَةٍ، وَكُلَّ ذَلِكَ مِنَ
 آيَاتِهِ تَمَرُّوْا جَلَّ الْكِبَرُ.
 إِنَّ الْقَوْلَ: وَهُوَ قَدْ أَفْضَلَ بَعْضَكُمْ إِلَى بَعْضٍ مَعْنَاهُ
 أَنَّ كُلَّ مَنْ مِنَ التَّزْوِجَيْنِ نَالَ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى مُبْتَغَاهُ، وَحَقَّقَ
 مُنَافَاةً، وَوَصَلَ إِلَى أَمَحَقِ الْأَمَاقِ، وَأَمَّا بَعْدُ الْإِفْهَامِ
 إِنَّ كُلَّ هَذِهِ التَّنْعِيمِ الَّتِي شَمِلَتْ بِالنِّزَاجِ كُلَّ التَّزْوِجَيْنِ
 إِنَّمَا تَحَقَّقَتْ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

إِنْ الزَّوْجَيْنِ، وَيُخَاصَّةِ الرَّجُلِ، لَأَنَّ الْقَوَامَةَ فِي
 يَدِهِ، يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَذْكِرَ أَفْضَلَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمَا، وَقَدْ
 أَشَارَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، إِلَى تَبَيُّنِ مَعْنَاهُ السَّنَةِ لِنُبُوَّةِ
 الْمُطَهَّرَةِ، أَشَارَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ إِلَى بَعْضِ مَظَاهِرِ فَضْلِ
 اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمَا، خُفِيَ سَوْرَةُ الْمُؤْمِنُونَ - مَثَلًا - ذَكَرُوا
 بَعْضَ نَعَوَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمِنْهَا حِفْظُ كُلِّ مِنَ الزَّوْجِ وَالزَّوْجَةِ
 فَرَجَهُ. وَيَأْتِي مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَمَلٌ عَلَى الزَّوْجَيْنِ فِي هَذَا
 الِاسْتِثْنَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (١) يَوْمَ يَأْتِيهِمْ
 حَافِظُونَ. إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ
 غَيْرُ مَلُومِينَ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ إِنْ الزَّوْجُ يَفْعَلُ فِي
 الْحَلَالِ بِزَوْجِهِ، وَكَذَلِكَ يَمْنُ مَلَكَتْ يَمِينُهُ، طَيِّبٌ مَا أَمَّا حِجَابُ اللَّهِ تَعَالَى
 لَهُ. إِنْ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: إِنْ الزَّوْجُ غَيِّبَ مَلُومٌ عَلَى مَا
 يَفْعَلُهُ. فَمَنْ أَلَّا سَاسْتَطِيعُ أَنْ يُلَومَ الزَّوْجَ وَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ
 تَعَالَى عَنْهُ مَجَرَّدَ التَّلَوُّمِ. وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ فِي سَوْرَةِ
 التَّرْوِمِ (٢) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
 لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً. إِنْ خَالَفَ
 آيَاتِ يَقُومُ يَتَفَكَّرُونَ فِيهِ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ فِي سَوْرَةِ
 النَّحْلِ (٣) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ
 بَيْنَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَنِينَ وَخَفَذَةً وَرِزْقًا كَثِيرًا مِنَ الطَّيِّبَاتِ
 أَجَابًا بَاطِلٌ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ

(١) سَوْرَةُ الْمُؤْمِنُونَ ٦٥

(٢) سَوْرَةُ التَّرْوِمِ ٢١

(٣) سَوْرَةُ النَّحْلِ ٧٢

فإذا تحوّلنا إلى حديث القرآن الكريم مما لا يوجب إلى
 الزواج على فعله مع زوجته من مجرد اللوم، بل إن
 كلاً من الزوجين مُثابَرٌ على فعله كما قال الصادق
 عليه السلام: «مَن نكح امرأة عليه وسِتْرٌ، مَن نكح امرأة
 تعالَى إليه ضاحكاً الشَّانَ بما معناه أنَّ كلاً من
 الزوجين مُثابَرٌ على فعله لأنَّه تَمَكَّنَ من وضع شهوته
 في الحلال، ولو وضعها في الحرام لَرَأَى نَبَاً وَمَوْجِباً، وإذا
 تحوّلنا إلى الحديث في هذه الجانِبِ، فإنَّنا نَؤَدُّ أن نبيِّن
 أنَّ القول في الآية الكريمة التي نحن بصدد الحديث
 عنها، بِأَنَّ قولَه تعالى: «وَمَنْ نَكَحَ غَيْرَ زَوْجَتِهِ فَهُوَ سَاقِطٌ لِّمَا كُنَّ عَلَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ»
 يتخلَّى كلَّ الإخفاق التي ارتقت إليها آيات الذكر
 الحكيم في هذه الطُّبُجِ. ونحن نذكر بعض هذه الإخفاق
 ونشرح ما يحتاج إلى شرح.

إنَّ البقرة أن الكريم يقول في سورة البقرة مدَّ زواجاً
 هو: «فَمَنْ نَكَحَ غَيْرَ زَوْجَتِهِ فَهُوَ سَاقِطٌ لِّمَا كُنَّ عَلَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ»
 ومعنى: «وَمَنْ نَكَحَ غَيْرَ زَوْجَتِهِ فَهُوَ سَاقِطٌ لِّمَا كُنَّ عَلَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ»
 المُنَّ على الزوجين جاء في سورة البقرة (٣) قولَه تعالى:
 «وَمَنْ نَكَحَ غَيْرَ زَوْجَتِهِ فَهُوَ سَاقِطٌ لِّمَا كُنَّ عَلَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ»
 هو صِدْقٌ بِأَنَّ نِكَاحَ غَيْرِ زَوْجَتِهِ يَنْتَهِى بِأَنَّ كلاً من الزوجين
 يَكُونُ بِمُثَابَرَةِ الثَّوْبِ الْفَنِيِّ يَسْتَرِهِ، وَيَمْنَعُ مِنْهُ أَوْ
 كَلَّ مِنَ الْخَرِّ وَالْبَرْدِ. وَلَعَلَّكَ تَبَيَّنَتْ الْكُنْهَةُ الْتَطْلِيفَةُ

(١) سورة البقرة ٢٢٣

(٢) ١ بلاء

(٣) سورة البقرة ١٨٧

فلما تغشها: فلما جامع أبو ناياء دم عليه السلام
أصنا حواء عليها السلام. ومعنى تغشها: ستر آدم
حواء بحسده وغطاها (٥) ولما فعل هذا كل زوج بزوج
ولمعنى والله تعالى أعلم، فلما جامع أبو ناياء دم عليه السلام
أصنا حواء عليها السلام، تخلف أمنا حواء وكل أم،
صملاً خفيفاً قول الأم، إذ لا تحمل الأم إلا من سوء
نخفة الأقرب من حمها. ولذا هي تذهب وتجيء، تقوم

- 117

وتقعد، بكل سهولة ويسر، وكل خفة ورشاقة. فلما
 أثقلت أمنا حواء وكل أمم، وصار الذن من بطنا
 ثقلاً ودرت ولادتها دما الزوجان الله تعالى ربهما
 تحائليين: يا ربنا لمن أعطيتنا ولداً صالحاً لنكونن
 من يا ربنا من الشاكرين دائماً وأبداً.
 ونحن نورد أن نبين بأشبه لا يوجد في اللغة العربية
 جملة تقوم مقام القول: فلما تغشاها، وتشهد
 مشرقتها.

ولذلك نورد أن نبين أن القول في آية سورة
 النساء المزمعة: هو وقد أفقن بعضكم إلى بعض
 يشمل كل المعاني الحسية التي أفادتها لغويًا جملة
 "أفقن" كما يشمل كل معاني المستنور، كما ضمن
 الالة وهو المعنى اللدني، أو الإسلام أو الشرع.
 ووراء ذلك خات القول: هو وقد أفقن بعضكم
 إلى بعض، يتجاوز كل ألفاظ الكناية عن الجماع من
 القرآن الكريم من القلباس، والشمس، وإتيان الحث،
 وسكن الزوج إلى زوجته، وتغشية الزوج زوجته
 وتغطية جسدها بجسده. إنا القول: هو وقد أفقن
 بعضكم إلى بعض، يشمل كل هذه المعاني، ويخترق كل
 الأجواء، إلى معاني أبع، وأجواء أرحب.

والله تعالى أعلم. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد،
 وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

ثانيًا
تَطَوُّر دلالة ألفاظ القرآن الكريم

١- ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ لَّزَمْنَاهُ طَائِرَهُ﴾ من عنقه
 بإذن الله تعالى، سنتعامل بشأن مادة: «طير»
 في القرآن الكريم، مع عدد معين من الآيات الكريمات
 تقتضيها الدراسة. وهذه الآيات الكريمات هي على النحو التالي:
 بشأن لفظة طائر بمعناها اللغوية سنتعامل مع الآية
 رقم ٣١ من سورة الأنعام المكية الآية ٣١. قال تعالى: ﴿لَوْ مَا
 مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُولَئِكَ
 أَصْنَاءُ لَكُمْ مَا فَخَرَّ طَنَا مِنْ دِكِّيبٍ مِنْ شَيْءٍ يَنْتَفِعُ بِهَا الْإِنْسَانُ يَشْكُرُونَ﴾
 بشأن علاقة لفظة: «طائر» ولفظة: «التطير»
 بعملية التطير، بمعناها الجاهلي، ومعناها الإسلامية،
 سنتعامل مع عدد من الآيات في ثلاث سور كريمات،
 هي الأعراف، والنمل، ويس. بشأن سورة الأعراف
 سنتعامل مع الآية رقم ١٣١ قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ
 الْحَسَنَةُ قَالُوا إِنَّ هَذِهِ الَّتِي كُنَّا نَعْمَلُ بِهَا نَجْزِيهَا نَبْذُرُهَا
 بِمَوَاسِفٍ وَمِنْ مَعَدَّةِ أُولَئِكَ طَائِفَةٌ مِمَّنْ كَفَرُوا وَكَانَتْ
 أَعْيُنُهُمْ لَافِتَةً إِلَى الْأَرْضِ سَاءَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾
 الآية رقم ١٣١ قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا
 إِنَّ هَذِهِ الَّتِي كُنَّا نَعْمَلُ بِهَا نَجْزِيهَا نَبْذُرُهَا بِمَوَاسِفٍ
 وَمِنْ مَعَدَّةِ أُولَئِكَ طَائِفَةٌ مِمَّنْ كَفَرُوا وَكَانَتْ
 أَعْيُنُهُمْ لَافِتَةً إِلَى الْأَرْضِ سَاءَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾
 بشأن انفرد القرآن الكريم باستعمال لفظة:
 «طائر» استعمالاً جديداً فردياً أو غير مسبوق، سنتعامل

مع الآيتين التريعتين رقم ٣١ و ٣٢ من سورة الإسراء
التريعتين . قال تعالى : هو وكلّ في نسيان أَلْزَمْنَا طَائِفَهُ
مِنْ عَذَابِهِ دَخْرَجْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَأْتِيهِمْ مِنْ شُورَاهُ .
إِخْرَاجُ كِتَابِكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَذَابًا حَسِيبًا

وَنَتَحَوَّلُ مُسْتَعِينِينَ بِالله تعالى إِلَى الله رَاسِدَةً ،
وَنَبْدَأُ بِالْخُطْوَةِ الْأُولَى :

٥ - استحيال القرآن الكريم لفظة: «طائر» بمعناها النعوية.
 جاء من سورة الأنعام الآية رقم ٣٨ قوله تعالى:
 «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ مِنْ الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا
 أُولَئِكَ لَهُمْ أَمْثَلُكُمْ مَا غَرَّطْنَا مِنَ الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ
 يُحْشَرُونَ»

تبين الآية التسمية أنه ما من دابة تدب من الأرض
 وتمشي على ظورها ولا طائر يطير بجناحيه إلا أُولَئِكَ أَمْثَلُنَا
 نحن بنو آدم. فائتم. مثلاً - أمة، والآن أمة، والطير
 أمة. وهكذا. وقد جاء من سورة النور (١) قوله تعالى:
 «وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ. فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ
 وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ
 يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ. إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» قال
 قتادة: الطير أمة، والبرنس أمة، والجن أمة (٢) ما
 غَرَّطْنَا مِنَ الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ: عن ابن عباس: ما تركنا شيئاً
 إلا قد كتبناه من أَمْثَلِ الْكِتَابِ (٣) أي اللوح المحفوظ (٤)
 إِنَّ الْقَوْلَ: ما غَرَّطْنَا مِنَ الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ. أي يشير
 إلى ما خلقه الله تعالى بما بكل شيء. وإِنَّ الْقَوْلَ: فَوَيْلٌ لِمَنْ
 رَبَّهِمْ يُحْشَرُونَ يشير إلى حشر كل هذه الأمم إلى ربها عز
 وجل لفصل الحساب، وكما قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْجَمْعَ لَتَقْفُ مِنْ
 الْقَرْنَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٥)

(١) سورة النور ٤٥

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٨٦

(٣) تفسير الطبري ٦/ ١١٩

(٤) الجلالين.

(٥) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٩٩

ب - علاقة لفظي: «طائر» و «التطير» بالتطير مفعلاً في القرآن الكريم: ونبدأ، مستخدمين بالله تعالى، بتفسير موجز لإيات التطير، في سورة التثلاث الكريمات. جاء في الآية الكريمة رقم ١٣١ في سورة الأعراف الكريمة قوله تعالى: «وإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه» وإن تعبههم ستة تطيروا بهموس ومن معه. ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون»

إن الآية الكريمة تتحدث عن فرعون وملأه. والمعروف أن مصر، بفضل الله تعالى، بلاد الخيرات والثمرات. وفي بعض المواضع يشهد فرعون بكونه ملكاً مصر، وهذا هو ذا الأثر في تجرأ من تحت، وتصدق قواله. جاء في إحدى المرات التي يقارن فيها فرعون الطاغية بينه وبين موسى عليه السلام الشخص العادي في نظر فرعون، جاء في سورة الزخرف (١) قوله تعالى: «وإذا نادى فرعون من قومك أن ليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون» وقد أخذ الله تعالى فرعون وملأه بتسع آيات، وكل آية هي أكبر من أخذها، وقد نصت على هذه الآيات بالتفصيل سورة الأعراف وحدها. لقد جاءت آيتا العصا واليد من الآيتين الكريمتين برقم ١٠٧ و ١٠٨ وجاءت آيتا السنين بمعنى الجذب ونقص من الثمرات من الآية الكريمة رقم ١٣١ وجاءت آيات الطوفان والجراد والقمل (٢) والضفادع والدم في الآية الكريمة رقم ١٣٣

(١) سورة الزخرف ٥١
(٢) القمل بمعنى الشئوس لأن من يأكل الحبوب.

و آية سورة الأعراف تتحدث عن الحسنة التي يتفضل
 الله تعالى بها على الكافر ولو كان فرعون وملائه، لأن الدنيا
 عند الله تعالى لو كان لها قيمة حقيقة ما سقى الكافر فيها
 شربة ماء. جاء في الآية الكريمة في الحديث عن الحسنة
 من صيغة الخصب، والرخاء، والصحة، والأمن، وما إلى
 ذلك القول: فهو إذا جاء بهم الحسنة قالوا لنا هذه
 والمراد بالحسنة حسنة الدنيا. وانظر إلى جملة «جاء»
 التي تأتي من الآية الكريمة مع الحسنة. يأتي كل هذه النعم
 من الله تعالى فهو وصلت إلى القوم فعلا، فيأتي جملة:
 «جاء» تدل دائما وأبداً في القرآن الكريم على القرب، بعكس
 جملة: «أتمش» التي تدل دائماً وأبداً في القرآن الكريم على البعد.
 إن هذه الحسنات من الله تعالى تنثر من فرعون وملائه
 وتتوالى. وانظر كذلك إلى القول: «فيذا» وهي تفيد هنا
 كثرة الحسنات من الله تعالى، وتتابعها، ويميم انقطاعها
 ومن مقابل: «الحسنة» المعروفة بأل دليل على تنعم القوم
 بها دائماً، تجس لفظة سيئة منكرة، وتجب معها: «إن» التي
 تدل على قلّة حدوث السيئة، التي جاءت منكراً دليلاً على قلتها،
 بل على ندرتها. وانظر إلى القول العظيم الذي منحشيت في الكشف
 عن هذا المعنى: يقول رحمه الله تعالى: حجة واسعة (أ) «فيذا»
 قلت: كيف قيل: فيذا جاء بهم الحسنة ياذا وتعريف الحسنة،
 وإن تصبرهم سيئة يان وتكسر السيئة؟ قلت: لأن جنس الحسنة
 وقوعه كالواجب لكثرة واتساعه، وأما السيئة فلا تقع إلا

في الشدة ولا يقع إلا شيء منها ومنه قول
 بعضهم: قد عذرت أيام البلاء فحمل عذرت أيام الرخاء
 والمراد بالسبب هنا عكس الحسنة. فالسبب من
 الجدة بـ، والشدة بـ، والمرضا، والخوف وما إلى ذلك
 وما موقوف فرعون وملئه والكافرين من حسنات الله
 تعالى إليهم؟ موقوفهم كما جاء في الآية الكريمة: قالوا
 لنا هذه هي الطغيان فكن أهل لها ونحن نستحقها. وبذلك
 ينسبون الفضل لأنفسهم. وما موقوف فرعون وملئه
 لأن صاحبهم السبب ياذن الله تعالى ولم يخطئهم؟
 من هذه الحال يتشأء من موسى عليه السلام ومن
 معه من المؤمنين من بن إسرائيل ويقولون إنما
 أصحابنا السبب بسبب وجود موسى ومن معه
 بين طهرائنا ومعتنا. إنهم يتطهرون بموسى عليه السلام
 ويتشأء من به ومن معه. ونسب فرعون وملؤه
 أن الحسنات من الله تعالى حينما تممهم كان موسى
 عليه السلام ومن معه بين طهرائهم كذلك. فلما زالم
 يتأخروا لموسى ومن معه حينما تممهم الحسنات؟ إن
 السبب من هذا لا ينظر أبهى البصيرة، والعباد الله.
 ولأن الآية الكريمة تترد على القوم فوراً بالقول: لا
 إنما طأرتهم عند الله. عن ابن عباس، يقول: معاً بهم عند
 الله (١) أي من قبل الله (٢) ولكن أكثر هؤلاء القوم الذين
 أمكن الله تعالى بها شركهم لا يعلمون هذه الحقيقة.

(١) تفسير الطبري ٩/٢٠

(٢) تفسير ابن كثير ٣/٤٥٧

ومن نود أن نلفت الانتباه إلى هذا الموقف من
 فرعون وملئه من موسى عليه السلام وقومه بنى
 إسرائيل حينما تصيب فرعون وملؤه سببة. إن
 فرعون وملؤه حينما تصيبهم سببة يتشاءمون بموسى
 وبمن معه. وقد نقت الآية الكريمة على عمليته
 التطير بمعنى التشاؤم من القول به وإن تصيبهم
 سببة بطير أو بموسى ومن معه
 إن فرعون وملؤه من سورة الأعراف هنا يملكون
 كل الكافرين بشأن تطيرهم أجمعين برسل الله تعالى
 إليهم حينما تصيبهم سببة.
 والقرآن الكريم يرد على فرعون وملئه، ويصح
 نظرة فرعون وملئه لموسى ومن معه، وفي تصحيح نظرة
 فرعون وملئه تصحيح لنظرة كل الكافرين، وفيهم
 الكافرون الذين تتحدث عنهم في مجال التطير سورتنا
 النمل ويس. وإت القرآن الكريم في رده على فرعون
 وملئه وتصحيح نظرتهم إلى موسى وقومه إذا أصابهم
 سببة، إن القرآن الكريم في تصحيح نظرة الكافرين
 الخاطئة وقد تطيروا من موسى وقومه حال إصابة السببة
 يستعمل لفظة طائر استعمالاً جديداً يتحقق فيه ما
 يُستعمل بالمشاكلة ومراعاة النظر، وذلك في القول:
 ﴿أولئك طائراً هم عند الله﴾ وإت استعمال القرآن
 الكريم لفظة: «طائر» هنا من باب التشكل فقط وليس
 من باب المعنى.
 إن القرآن الكريم في استعمال لفظة: «طائر»

يجازي الكافرين في توجيهِ التَّطْيِيرِ إِلَى التَّشَاوُمِ وَحْدَهُ،
 بَيْنَمَا التَّطْيِيرُ يَعْنِي أَسَاسًا كَلَامِيًّا مِنَ التَّشَاوُمِ وَالتَّفَاوُلِ.
 لِأَنَّ الْمُرَاعَاةَ التَّفْظِيَّةَ جَاءَتْ فِي اسْتِعْمَالِ نَفْثَةِ «طَائِر»
 شَكْلًا. أَمَّا الْمَعْنَى فَيَأْتِيهِ الْمَعْنَى الْإِسْلَامِيّ الَّذِي
 يَتَّبِعُهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هُنَا وَمَقَادَرُهُ أَنَّ التَّسْيِئَةَ
 الَّتِي أَصَابَتْ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَتْهُ لَيْسَ بِسَبَبِ وَجُودِ
 مُوسَى وَقَوْمِهِ بَيْنَ ظَهْرَانِيٍّ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَتْهُ، إِنَّمَا
 بِسَبَبِ كُفْرِ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَتْهُ، وَإِلَّا شَرَّكُمْ بِأَنَّهُ تَعَالَى
 وَلَا يَنْكَارُ لَهُمْ نِعْمَ اللَّهِ تَعَالَى، وَجُودِهِمْ آيَةً، وَتَبْدِيلِهِمْ
 نِعْمَةً اللَّهُ تَعَالَى كُفْرًا، وَإِحْلَالِهِمْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ.
 وَهَذَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَتْهُ حَصْرُ وَاعْمَلِيَّةِ
 التَّطْيِيرِ فِي التَّشَاوُمِ وَحْدَهُ.
 وَكَذَلِكَ يَتَبَيَّنُ مِنْ اسْتِعْمَالِ الْحِكْمَةِ الْكَرْمَةِ لِنَفْثَةِ
 «طَائِر» أَنَّ هَذِهِ النِّفْثَةَ، انْطِلَاقًا مِنَ الْمَشَاكِلَةِ
 وَمُرَاعَاةِ التَّنْظِيرِ، قَدْ أَخَذَتْ بِمَعْنَى التَّطْيِيرِ بِمَعْنَى
 التَّشَاوُمِ، وَلَكِنَّهُ الْمَعْنَى الْإِسْلَامِيّ لِمَعْنَى التَّطْيِيرِ
 حَالِ التَّسْيِئَةِ، وَهَذَا الْمَعْنَى كُفْرُ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَتْهُ بِأَنَّهُ
 تَعَالَى، وَنِعْمَةُ الْعَظِيمَةِ، وَآيَةُ الْجَسِيمَةِ.

ونقول الآن، مستعينين بالله تعالى إلى الموضوع
 الثاني من القرآن الكريم، الذي يحسب الحديث فيه عن
 عملية التطير. ومع أن الحديث عن عملية التطير جاء
 في آية واحدة في هذه ثلاث آيات كريمات مترابطة
 المعنى. قال تعالى (١) ولقد أرسلنا إلى ثمود أن
 عبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون. قال
 يا قوم لهم تستعملون بالسبئية قبل الحسنة
 لو لا تستغفرون الله لقد كنتم في دمر حميم. قالوا
 يا قوم لا تأتوا الله بآياتكم. قالوا يا قوم لا تأتوا
 الله بآياتكم. قالوا يا قوم لا تأتوا الله بآياتكم.
 ولقد أرسلنا إلى ثمود من شمالي الجزيرة العربية
 والعلاء مدائن صالح أخاهم من النسب صالحاً
 عليه السلام، داعياً لهم إلى الله تعالى وقال لهم عبدوا
 الله تعالى وحده لا شريك له، وذموا المشركين
 وعبادة الأصنام، فإذا هم فريقان اثنان من دعوته
 عليه السلام، مؤمنين وكافرين (٢) يختلفون ويختصمون (٣)
 هذا فريق مؤمن بالله تعالى، وهذا فريق كافر مشرك.
 قال صالح عليه الصلاة والسلام، ناصحاً الفريق
 المشرك بالله تعالى، يا قوم لهم تستعملون بالسبئية قبل
 الحسنة، وبالعبادة بدل الرحمة، فلا تستغفرون الله تعالى

(١) سورة التهم ٤٥-٤٧

(٢) تفسير الطبري ١٩/١٠٧

(٣) تفسير الطبري ١٩/١٠٧

من الشرك الذي أنتم متورطون فيه ، وتوبيخون إليه
متر وجل من عصبانته وطاعة الشيطان الرجيم والنفس
المقارئة بالسوء ، لعل الله تعالى يقبل توبتكم ، ويغفر
لكم ، وينير حكمكم .

إن هذا الفريق الكافر أصغر كفره وعناده ،
وصاحبه زايح من رسول الله تعالى إليه ، صالح عليه
السلام ، ذات الموقف الذي اتخذ الكافرون في كل
زمان ومكان من رسل الله تعالى إلههم . إنهم يقولون
بصريح التنفص لصالح عليه السلام ، وقد أخذهم الله
تعالى بالسيئة من قحط ، وشدة ، وقصر ضلالتهم .
الخير لنا بك وبمن معك ، إننا نشاء مناك وبمن
معك من أتباعنا (١) الذين آمنوا بك واتبعوا
قال لهم صالح عليه السلام من باب المشاكلة والمزاوجة
ومراعاة النظر . هو طائفة عندهم عن ابن عباس
قال ، يقول : مصائبكم (٢) عند الله ، أي الله
يجازيكم على ذلك (٣) وهذا يتبين أن معنى جواب
رسل الله تعالى على الكافرين واجد دائماً وأبداً . إن
السوء الذي حبه الله تعالى على الكافرين حبه دائماً
هو بسبب كفرهم بالله تعالى ، وجحورهم وآنوئته وعصيان
رسوله الذين أرسلهم إلى القوم الكافرين ، ومنهم صالح عليه السلام .

(١) تفسير الطبري ٩ / ١٠٧

(٢) تفسير الطبري ٩ / ١٠٧

(٣) تفسير ابن كثير ٦ / ٢٠٧

حَقِيقَةُ الْأَمْرِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَفْتَنُكُمْ بِالْعَذَابِ، وَيُخْتَبِرُكُمْ
بِالسُّوءِ، وَيَبْتَلِيكُمْ بِالشَّدَّةِ. يَكْذِبُ كُلُّ ذِي بَقْصَةٍ أَنْ
تَتُوبُوا مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَتَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى: «بَلْ أَنْتُمْ
قَوْمٌ مُخْتَبِرُونَ»، يَخْتَبِرُكُمْ رَبُّكُمْ لِأَنَّهُ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ،
أَتَطِيعُونَهُ فَتَعْمَلُونَ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ فَيَجْزِيَكُمْ الْجَنَّةَ
مِنْ ثَوَابِهِ، أَمْ تَعْصُونَهُ فَتَعْمَلُونَ بِخِلَافِهِ فَيَحِلُّ
بِكُمْ مَقَابِلُهُ» (١) وَهَذَا يَخْتَبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِالشَّرِّ
وَالْخَيْرِ خِتْنَةً وَابْتِلَاءً.

وَهَذَا يَتَبَيَّنُ مِنْ هَذِهِ مَثُورِ قَوْمٍ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ
السُّوءِ الَّذِي حَلَّ بِهِمْ وَنَسِيَهُ إِلَى وَجُودِ صَالِحٍ عَلَيْهِ
السَّلَامُ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنْ أَتْبَاعِهِ مَعَهُمْ، إِنَّهُمْ قَالُوا جَرِيعَ
الْتَفَافِ إِنَّا نَطِيرُكَ يَا صَالِحُ وَبِالْمُؤْمِنِينَ بِسَبَبِ وَجُودِكَ
مَعَنَا، وَتَشَاءُ مِنَّا بِكُمْ بِسَبَبِ بَقَائِكُمْ بَيْنَ ظُرُرِ انِّينَا.
وَقَدْ لَاحِظْنَا أَنَّ هَذَا صَوُّ مَوْقِفِ فِرْعَوْنَ وَمِثْلِهِ مِنْ
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمِثْلِهِ، وَبِذَلِكَ حَقَقَ الْكَافِرُونَ
عَمَلِيَّةَ التَّطْيِيرِ مِنَ التَّشَاؤْمِ وَوَحْدَهُ.

وَكَذَلِكَ يَتَبَيَّنُ أَنَّ رَدَّ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيْهِمْ مِنْ
بَابِ الْمَشَاكَلَةِ وَمَرَامَاةِ النَّظِيرِ وَذَلِكَ فِي الْقَوْلِ: «لَوْ قَالَ
طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ كَيْفَ إِذَا الْمَشَاكَلَةُ تَرَامَى الْتَفَافُ أَمَا مَعْنَى
الْطَّائِرِ خَائِفَتُهُ بِالْمَعْنَى الْإِسْلَامِيَّةِ. إِنَّ سُوءَ عَمَلِهِمْ سَبَبٌ مَا
حَلَّ بِهِمْ مِنْ سُوءٍ.

(١) تَفْسِيرُ الطُّرَى ١٩/١٠٨

ونسحب الآن مستعدين بالله تعالى إلى الموضع
 الثالث والثاني من القرآن الكريم، الآية ١٨،
 الحديث فيه عن عملية التطهير، وهذا الموضع هو
 الآية ١٨ برقم ١٩٦١٨ من سورة يس، الآية ١٨
 الآية ١٨ برقم ١٩٦١٨ من سورة يس، الآية ١٨
 نذكر هذه الآيات الكريمات. قال تعالى (١) :
 مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون. إذ أرسلنا
 إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم
 مرسلون. قالوا ما أنتم إلا مبشرون. قلنا وما أرسلناك
 قبلاً من مثلي. إن أنتم إلا تكذبون. قالوا إنا نعلم إنا إليكم
 مرسلون. وما علينا إلا البلاغ المبين. قالوا إنا نظننا
 بكم لئن لم تنتهوا لنخرجنكم وليقسمنكم منا عباً إليهم. قالوا
 طأثركم معكم أم نكركم. إن أنتم قوم مبشرون.
 وهذا تفسير موجز للآيات الكريمات، والله تعالى المستعان. (٢)
 الآية ١٨ من سورة يس، الآية ١٨، الآية ١٨، الآية ١٨
 عبد الله صلى الله عليه وسلم، بطريق مباشر وغير مباشر، ومن
 وسائل التسليمة غير المباشرة ضرب أمثلة كقصة قرية مكة
 المكرمة، أي مدينة مكة المكرمة، بأصحاب قرية أنطاكية (٣)
 أي مدينة أنطاكية، الذين يشبه موقفهم من رسل الله
 تعالى الثلاثة إليهم، موقف كفار مكة من محمد صلى الله عليه
 وسلم. إن الموقف واحد، هو كفر رسل الله تعالى،

(١) سورة يس ١٣-١٩

(٢) تفسير الطبري ٢٢/١٠١

وإنا مصير أهل قرية أنطاكية الهلاك ، سيكون هذا
 مصير كفار قرية مكة المكرمة ، إن لم يتداركوا الشؤم قبل
 فوات الأوان ، فليتوبوا إلى الله تعالى ثوبته نصوحاً ،
 ويؤمنوا ، ويعملوا صالحاً .
 واخترت يا محمد كفار مكة ، بقصد أخذ العظة والعبرة ، مثلاً
 بأصحاب القرية إذ جاءها المرسلون من الله تعالى . ويرى
 شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى رحمة واسعة ،
 أن هذا الإرسال قبل المسيح . وأهل القرية كذبوا أو شك
 الرسل فأهلكهم الله (١) . إنا الله تعالى قد أرسل إلى أهل
 هذه القرية اثنين من الرسل يدعوان أهل القرية إلى
 ترك الشرك وإفراد الله تعالى بالعبادة . ومنستطيع
 أن نفهم رأي الله تعالى أن أرسل إلى أهل القرية رسولاً
 فكلّ به ، فأبى الرسل رسول آخر ، فكلّ بهوا الرسول
 الثاني أيضاً . ورشك أن فضل الله تعالى عظيم وخبره
 عظيم ، إذ أرسل الله تعالى إليهم رسولاً فكلّ بهواهم
 ثمّ وجّل ولم يهلكهم ، فأرسل رسولاً ثانياً ، وعززهم وجّل
 الرسولين بثالث وشكّ ذلكم بثالث وقواهم به (٢)
 إنا أرسل الله تعالى بلغوا رسالة ربهم ، وأدّوا الأمانة ،
 وتحالوا أهل القرية إنا إليكم مرسلون من الله تعالى .
 ما أزداد أهل القرية إلا كفرًا وعنادًا ، فقالوا كل

(١) الجواب القاطع لمن يتدلّ دين المسيح لشيخ الإسلام
 ابن تيمية ١/٩٠٩ مطبعة المدين بالقاهرة بدون تاريخ
 (٢) تفسير الطبري ٢٢/١٠١

رسل الله تعالى إليهم : ما أنتم إلا نبيون مبشرين ، وما أنزل
 الرسل من شيء من الرسل ، ولو شاء الله تعالى
 إرسال رسل لكانوا من الملائكة وليسوا من البشر ،
 ما أنتم إلا نبيون مبشرين ، ما أنتم إلا نبيون مبشرين ،
 لم يهلك الرسل إلا أن تجيء إلى ربهم عز وجل ، الذين ربناهم
 بنعمة ، وأكرمهم بنعمة الرسالة ، أن أن قالوا : ربنا عز
 وجل يعلم أننا إليكم لمرسلون . ولا تخط رسالهم ،
 لأن التوليد من القول : «مرسلون» خبرياً مع تمام ،
 القرية من الكفر والتكذيب . ولا تخط محسن لفظ : «الرحمن»
 على السنة المكذبة من القول : هو ما أنزل الرسل من
 شيء من غير من أسماء الله تعالى الحسنى ، وأنت
 تمشيياً مع إحدى القفيتين اللتين تصبان سورة
 يس التريمة ببلونهما ، وهما صفات العزة والرحمة ، وذات في
 الآية الكريمة الخامسة من السورة التريمة في حديثنا
 عن القرآن الكريم . قال تعالى (١) : تنزيل العزيز الرحيم
 ويحيي رسل الله تعالى الثلاثة لأهل القرية المصيرين على
 كفر بآياتهم قد قاموا بكل ما وفقهم الله تعالى بقيام به في
 مجال الدعوة إلى الله تعالى ، وهم لا يملكون إلا البلاغ
 المبين ، والله عوة الواضحة الصريحة إلى ربنا الله تعالى ،
 والله عز وجل الأمر من قبل ومن بعد .
 وما إذا زاد أهل القرية إلا غورا واستكباراً ، من
 الأرض ومناداً ومعتوا ، وريلاً على كل ذلك بحسن القول

هو قالوا: إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَنَحْمِلَنَّكُمْ
 مِنَّا مِنْ ذَنْبِكُمْ أَذْهَبَ اللَّهُ تِلْكَ الْأَفْهَامَ وَجَاءَ الْكَافِرِينَ مِنْ
 دَعْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيْهِمْ وَاجِدُوا كُلَّ مَنَازِلٍ وَمَكَانٍ
 إِلَيْهِ التَّطَيَّرُ بِرَسُولِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِالْمُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ مَا قِيلَ مِنْ
 تَطَيَّرَ الْكَافِرِينَ سَابِقاً يُقَالُ هَذَا . بَلْ إِنَّ مَوْقِفَ أَهْلِ
 الْقَرْيَةِ هَذَا أَشَدُّ سُوءاً وَأَوْ كَثَرُ جَرَاءَةٍ . إِنَّهُمْ يَضْحِكُونَ
 إِلَى تَطَيَّرِهِمْ وَتَشَاؤُمِهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ يَرْجِمُونَهُمْ بِأَنْزِهِمْ
 إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَنْ الِاسْتِمْرَارِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهُمْ
 سَوْفَ يَرْجَمُونَ بِالْحَجَارَةِ رَسُولَ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى الْمَوْتِ ،
 وَيَبْقَى بِالرُّسُلِ أَتْبَاعُهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . وَلَوْ فَرِحْنَا أَنْ هَذَا
 مِنْ نَجَاتٍ مِنَ الْمَوْتِ بِالْحَجَارَةِ رَجَاءً فَإِنَّهُ سَوْفَ يَنَالُهُ مِنْهُمْ
 مَذَابِحُ إِلَيْهِمْ ، وَمِيقَاتُ شَرِّهِ .

وَتَجَاهُ جَرَاءَةُ أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمَةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
 تَعَالَى بِجَرِّهِ ، عَلَى أَلْسِنَةِ هَؤُلَاءِ الرَّسُلِ قَوْلُهُ تَعَالَى : لَوْ قَالُوا
 طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ . أَلَنْ تَذَكَّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ . وَلَا زُنَا
 هَذَا مَعَ أَسْلُوبِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي الْمَشَاكِلَةِ كَوَرَامَةِ التَّفْهِيمِ
 إِنَّ الْكَافِرِينَ نَسَبُوا مَا قُلَّ بِهِمْ مِنْ سُوءٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
 تَعَالَى الَّذِينَ تَطَيَّرُوا بِهِمْ وَتَشَاءُوا بِهِمْ ، مَوَاقِفَ الْجَاهِلِيَّةِ . وَإِنَّ
 جَرِّهِ عَلَى أَلْسِنَةِ رَسُولِ اللَّهِ تَعَالَى لَفُظَةٌ طَائِرُكُمْ وَكَذَلِكَ لَيْسَ
 بِالْمَعْنَى الْجَاهِلِيَّةِ إِنَّمَا بِالْمَعْنَى الْإِسْلَامِيَّةِ ، فَسَبِّ مَا قُلَّ بِالْكَافِرِينَ
 مِنْ شَتَاءٍ هُوَ كُفْرُهُمْ وَإِصْرَارُهُمْ عَلَى الْكُفْرِ .

وَيُتِمُّهُ رَسُولُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْإِنْكَارِ عَلَى الْكَافِرِينَ سُوءَ سُلُوكِهِمْ ،
 وَهُوَ أَنْ تَذَكَّرْتُمْ بِهَذِهِ الْإِيجَازَةِ لَا سَتَفْهَامٍ ، الْمُرَادُ بِهِ التَّوْبُ بِيَخْ .
 إِنْ : بِشَرِّ طَبِئَةٍ . ذَكَرْتُمْ : مَبْنِيٌّ عَلَى مَفْعُولٍ فِي مَحَلِّ جَزْمٍ
 فَعَلِ الشَّرْطِ . وَتُمْ : ثَابِتٌ لِفَاعِلٍ . وَجَوَابُ الشَّرْطِ

مذوق تقديره : تطيرتم وكفرتكم (١)
(٢) بد أنتم قوم مسرفون في الحقيقة : أنتم قوم متجاوزون

الحق بشركم (٣)

مما سبق يتبين ما يلي :

- ٢- حَقَّرَ الْكَافِرُونَ عَمَلِيَّةَ التَّطْيِيرِ مِنَ التَّشَاؤُمِ وَاسْتَعْمَلُوا
بهذه المعنى الجاهلي. وَحَقَّرُوا عَنْ لَفْظَةِ : « طَائِرٌ » مِنْ
مَعْنَى السُّؤْمِ وَالتَّشَاؤُمِ بِمَعْنَاهَا الْجَاهِلِيَّةِ .
ب- مِنْ بَابِ الْمُشَاكَلَةِ وَمُرَاعَاةِ التَّطْيِيرِ جَاءَ
عَنْ أَسْنَدِ رَسُولِ اللَّهِ تَعَالَى اسْتِعْمَالُ لَفْظِي : « طَائِرٌ »
وَعَمَلِيَّةِ « التَّطْيِيرِ » وَلَكِنْ بِمَعْنَاهَا الْإِسْلَامِيَّةِ .

(١) انظر الجدول في إعراب القرآن وحرفه ١٠/ ٣٧٠ والجلد الثاني

(٢) الجليلين .

ج - استعمال الجريد والفريد بلفظة "طائر" في القرآن الكريم؛
 لأن معاجمنا اللغوية لا يزال ينقصها المعجم اللغوي
 الشارح الذي يسير مع اللفظة تأريخياً، ويبين المعاني
 التي اكتسبتها اللفظة أو خسرتها. ونحن نود أن نجتهد في
 تبين تطور دلالة "التطير" و: "طائر" من الوجهة اللغوية.

«التطير»:

١- إن عملية التطير تعني ببساطة: إضاعة الطيور،
 وبناءً على اتجاه الطائر الذي أصبح ذات اليمين أو ذات
 الشمال يتم العمل ولا يتم إن الطائر إذا هجى واتجه ذات اليمين ففعل
 الجاهلون، وقاموا بالعمل الذي يريدون القيام به، ويسمونه
 هذا الطائر بالساح، لأنه عملياً يتيح للصائد أن يضرب
 هذا الطائر بسهولة، ويمكنه من اصطياده. وقد أثرت
 هذه العملية الشائعة في اللغة فقالوا مثلاً: سَنَحْتُ لِي
 فرصة، أي تيسرت وتسهلت (١)

أما إذا اتجه الطائر ذات الشمال فإنهم يتشاءمون
 به ويسمونه من القيام بالعمل الذي أرادوه، ويسمونه
 هذا الطائر بالساح، لأنه عملياً لا يتيح للصائد أن يصيبه
 بسهولة. وقد أثرت هذه العملية في اللغة فقالوا مثلاً:
 برح بين الشوق، أي أعين واستبدت (٢)

٢- توسع العرب في عملية التطير ففعلوا وشاءوا
 بغير الطائر من طير وحيوان وما إلى ذلك.

٣ - عملية التطهير تشمل في الأساس كلاً من التفاضل والتشاور. ولكن عرب الجاهلية وكل الكافرين حصروا عملية التطهير في التشاور فقط.

٤ - الكافرون عن كل رحمة ومكان تطهير وتشاء صواب رسول الله تعالى إليهم وبالمؤمنين من أتباع الرسل. وقد اخطأوا في عملية التطهير بمعناها الجاهلية التي أخذت بخللها عن نقطة «التطهير» وكذلك عن نقطة «الطائر».

٥ - من باب المسئلة أو مراعاة التطهير استعمل رسول الله تعالى «التطهير» ولفظة «طائر» تمثيلاً مع كلام الكافرين لهم، ولكن رسول الله تعالى يريدون المعنى الرسولي. وبذلك يكون بمشاهدة وجهها نائين. وجه لفظي يتجه إلى الكافرين، ووجه معنوي، وهو الوجه الذي يتجه إلى المسلمين لله تعالى رب العالمين.

«طائر»
إن خط لفظية: «طائر» لغوياً أو وسع من تطور لفظية:
«التطهير» لغوياً. وإليك بيان ذلك.

١ - أضافت لفظية «طائر» معنى الطائر الذي يلحرجنا فيه. وهذا الاستعمال اللغوي جاء في القرآن الكريم في الآية رقم ٣٨ من سورة الأنعام المكية، كما قرأنا.

٢ - بسبب إصاحبة القرب الطائر من مجال التطير أضافت
لفظة: «طائر» معنى كل من التفاضل والتشاور. وقالوا:
طائر الله طائرث، أي هذا طائر الله وفعله لا طائرث وفعله (١)

٣ - بسبب مملية التطير بمعنى التفاضل أو التشاور
يقوم التطير بعمل ما، إما بآء أو سألماً أضافت لفظة
«طائر» من استعمال مفعلة العمل.

٤ - ولما كان الذي يقوم بعمل ما يكون من حظ النجاة
أو النشل، التوفيق أو الإخفاق أضافت لفظة:
«طائر» من الاستعمال معاني الحظ من الخير والشر،
والرزق، والنجاة.

ونظن أن تطور دلالة لفظي: «التطير» و: «الطائر»
طاعت من الألفاظ اللغوية على النحو الذي بينا.

(١) لسان العرب: «طائر» وكل هذه المعاني موجودة فيه.

مثال الاستعمال الجديد والفريد للفظه: «طائر» في القرآن الكريم.
إِنَّ الاستعمال القرآني الجديد والفريد للفظه «طائر» في
القرآن الكريم جاء في سورة الإسراء: «فأقوله تعالى (١):
هو وكلّ إنسان ألزمناه طائره من عنقه ونخرج له يوم
القيامة كتاباً يلقاه منشوراً. اقرأ كتابك كلف بنفسك
اليوم عليك حساباً»

إِنَّ الآيةين الكريمتين تتحدّشان عن مسئولية كلّ
إنسان عما يفعله من هذه الحياة الأولى من خير أو شر.
وإِنَّ كلّ إنسان مجازي يوم القيامة على ما يفعله من حسنات
أو سيئات، وسوف يثاب أو يعاقب على عمله.
ونتمنّى، مستعينين بالله تعالى، أن تفسر الآيةين الكريمتين
إِنَّ الآية الكريمة الأولى تبين أنّ كلّ إنسان يُلزمه يوم القيامة
ويُعلق من عنقه كتاباً عماله.

وستبقى من تبييننا تطور الالة لفظه: «طائر» لغوياً. وقد
تبيننا أنّ من معان لفظه: «طائر» العمل، وإِنَّ لفظه: «طائر»
من الآية الكريمة تفيد معنى العمل: «عن ابن عباس: عمله
وما قدّر عليه فهو ملازمه أينما كان فرائضه معه أينما زال» (٢)
ويلاحظ أنّ الآية الكريمة تستعير لفظه: «طائر» لبيان
عن العمل، وهذا هوذا الجزاء «مُعلق» من عنق صاحب العمل.
وكذلك يلاحظ أنّ من الآية الكريمة على كتاب الأعمال.
فلنّ إنسان يخرج الله تعالى الحكيم العدل له كتاب أعماله. وهذا

(١) سورة الإسراء ١٣ و ١٤

(٢) تفسير الطبري ١٥/٣٩

الكتاب لا يغار بياذن الله تعالى صغيرة وركبته لا
 أحصاها. وهذا الكتاب يلقاه كل إنسان منشوراً أمامه،
 وهذا الكتاب يتبين بياذن الله تعالى فيستطيع أن يقرأه
 كل إنسان، ويدرك معناه، سواء كان حارثاً أو غير
 حارث. إن كل إنسان يقرأ هذا الكتاب، ويفهم
 فحواه، ويتبين له كل تحمل قام به من خير أو شر.
 حيث إن كل إنسان يستطيع بياذن الله تعالى الحكم العدل
 أن يقرأ كتابه من اللغة التي يفهمها فيأت الآية الكريمة
 الأخيرة تأمره أن يقرأ كتابه المنشور أمامه، ويقال
 له: هو كف بنفسك اليوم عليك حسيباً لك المعنى: حسبك
 اليوم نفسك عليك حاسباً بحسب عليك أعمامك
 فيحسب عليك (١) ومحاسباً (٢)
 ويلفظ استعمال الآية الكريمة لفظاً: «مُنْقَوْ»
 وذلك من القول: هو كل إنسان الزمناه طائره من
 منقعه وصغروفت أن الأعمال نومان، حسنات
 وسيئات. والآية الكريمة تبين أن أعمال كل إنسان
 معقدة من منقعه. وقد جاء في سورة آل عمران (٣) قوله
 تعالى: هو يوم تجد كل نفس ما تميلت من خير محضراً وما
 تميلت من سوء ثواءن بيننا وبينه أمهداً (٤) بعيداً.

(١) تفسير الطبري ١٥/٤١

(٢) الجلالين

(٣) سورة آل عمران ٣

(٤) أمهداً بعيداً: غايته من نهاية البعد فلا يصل إليها. الجلالين

حجة لكم الله أنفسه . والله زُومون بالعباد
 ومن المعروف أنه يرتبط بالعتق شيان مختلفان
 من جنس كون الأعمال حسنة أو سيئة . إنا الذي
 يرتبط بالعتق حال الأعمال الحسنة ، وحال الشُّرور
 والخبور ، والتهمة والانشراح ، وحال الجمال والجلال ،
 الذي يرتبط بكل هذه الصفات فحق العتق هو جمال
 الطوق خاتمة الجملة . إنا طوق يلزم عتقاً دائماً ،
 ومفقد يخلو جيداً أبداً . إنا كتاب الأعمال الحسنة
 المعلق من عتق المحسن بمثابة طوق الجملة الذي
 هو بمثابة العقد الذي يُزين عتق الحسناء .
 وإنا الذي يرتبط بالعتق حال الأعمال السيئة ،
 وحال الويل والخبور ، وحال عظامهم الرُّمور ، يوم
 البعث والنشور ، هو سوء القيد من الحديد الذي
 يشدُّ يدي المجرم إلى عنقه شدةً عظيمة ، وبذلك يكون
 شكل ذلك المجرم شكلاً مخيفاً .
 بقي علينا أن نوضح إلى أن الغل الذي يشدُّ أيدي
 إلى العتق شدةً آفاقيّةً هو وَجْهَةُ الذي يتألف من
 عناصر ثلاثة . أما هذه العناصر الثلاثة فهي الحديد ،
 واليد ، والعتق . إنا في حال فقد عنصر واحد فليس هذا بعتق .
 وكذا بقي علينا أن نبين أن هذا الغل الذي هو العناصر
 الثلاثة لم يأت من القرآن الكريم إلا مرة واحدة ، وذلك
 في الآية رقم ٩٩ من سورة الإسراء الكريمة . قال تعالى (١) :

(١) سورة الإسراء ٩٩

تجعل يده مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل أبسط فتقع
ملوفاً محسوراً

إِنَّ الرَّاكِبَةَ الْكَرِيمَةَ مِنَ الْقَوْلِ : لا تجعل يده مغلولة
إلى عنقك كما تنبت من البخل ، وتظهر البخل من أبشع
الصور ، فكأنه الذي شت الغل يديه إلى عنقه شداً
عنيفاً ، والغل أبشع القيود .

وإِنَّ الرَّاكِبَةَ الْكَرِيمَةَ مِنَ الْقَوْلِ : لا تبسطها كل
أبسط كما تنبت عن التبدير ، وتظهر البخل من أبشع
الصور ، فكأنه تلك الكلف الميسورة التي يتدحرج
منها كل شيء . وهل وجدت غيره بالأفمنك ماء !
وبشأن القول : فتقع ملوفاً محسوراً كما ينبغي أن
يحمل : « فتقع » يشير إلى مغلولة لغة القرآن الكريم
من إفاوتها صيغة المجهول حال القعود من أمر إلى أمر
ومن القوة إلى الضعف ، ومن العزة إلى الذلة ،
إلى هنا فة إلى صيغة القائم التي هي صيغة الجالس ،
ومن اتجاه الجالس من الأسفل إلى الأعلى ، من الأرض إلى
مثلاً إلى صيغة الجلوس .

وإِنَّ الْقَوْلَ : ملوفاً محسوراً يقول بشأنه ابن
كثير (١) : « وهذا من باب التلق والتشعر ، أي فتقع إن
بخلت ملوفاً ، يلومك الناس ، ويذمقونك ، ويستغنون عنك .
... ومن بسط يده فوق لما قبله قوت بلا شيء ، تنفقه ،
تكون كالحسير ، وهو الدابة التي تجزت عن السير فوقفت

(١) تفسير ابن كثير ٥/ ٦٧

صَغَفًا وَتَجَرًا، فَإِنَّهَا تَسْمَى الْحَسِيرَ، وَهُوَ مَا خُوذَ
مِنَ الْكَلَالِ «

وَهَكَذَا أَنْتَبَيْتُ أَنَّ الْمَعْنَى الْجَدِيدَ أَنَّ التَّسْبِيحَ
لَفْظَةٌ: «طَائِرٌ» وَالَّذِي لَمْ يُرْفَقْ إِلَى مُسْتَوَاهِ اسْمِهِ
الْعَرَبِ لَفْظَةٌ: «طَائِرٌ» مُطْلَقًا، هُوَ أَنَّ لَفْظَةَ «طَائِرٌ»
أَخَذَتْ مَعْنَى كِتَابِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي حَقِّ كُلِّ
مِنَ الْمُحْسِنِينَ وَالْمُسِيءِ. يَأْتِي كِتَابُ الْأَعْمَالِ فِي عُنُقِ
الْمُحْسِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمِثَابَةِ الطُّفُوقِ الَّتِي يَأْتِي فِي
عُنُقِ الْجَمَامَةِ وَلِيَعْقُدَ الَّذِي يُزَيِّنُ جِيدَهَا. وَإِنَّ كِتَابَ
الْأَعْمَالِ فِي عُنُقِ الْمُسِيءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمِثَابَةِ الْغُلَّةِ
مِنَ الْحَدِيدِ، الَّذِي يَسْتُلُّ الْيَدَيْنِ إِلَى الْعُنُقِ شَدًّا
فَمُنِيفًا، وَيُثَبِّقُ بِالْيَدَيْنِ وَالْعُنُقِ أَذْرَ صَخِيفًا.

وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ